

عبد الباقى صقر

الوصايا الخالدّة

الناشر: مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - بعابدين
القاهرة - ت: ٩٢٧٤٧٠

عبد الباقى عصفور

الوصايا الخالدة

الناشر: مكتبة وهبة
14 شارع الجمهورية - جاماي
القاهرة - ت: 97770

الطبعة الرابعة

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

جميع الحقوق محفوظة

دار التراث العربي للطباعة

٩٣٦١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

نحمد الله تبارك وتعالى . ونصلى ونسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
والتابعين ، وبعد .

فإن التاريخ هو معمل التجارب البشرية بخيرها وشرها . وحلوها ومرها ،
وإن وصايا الحكماء والعقلاء هي خلاصة هذه التجارب كأنها ثمار الأشجار .
أو لآلئ البحار .

وفي أحيان كثيرة تأتي الآية الكريمة . أو الكلمة الحكيمة ، كالدواء
الشافى . الذى يرد الناس الى الأصل المعتمد . أو يجمعهم على كلمة سواء .

وما زالت الأقوال المأثورة . والأمثال الجارية . تملأ أحاديث الناس فى
مجالسهم فترينها . أو تتردد فى مكاتباتهم ورسائلهم فتكون منها كواسطة العقد
أو الدلالة على الفضل وسعة الاطلاع .

وقد خطر لى أن أجمع جملة من الوصايا الجيدة . يضمها كتاب واحد .
فراجعت مع زميلى مصطفى جبر . عدداً من كتب الأقدمين . وجمعنا ما
تيسر من هذا التراث الخييد . وما أغناه بالحكمة . وتوجناها ببعض الوصايا
الإلهية من القرآن الكريم . والوصايا النبوية من كلام خاتم المرسلين عليه
الصلاة والسلام . ثم رتبنا الكلام على أبواب أربعة .

- الباب الأول : وفيه بعض وصايا القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم .
وبالباى الثانى : وفيه من وصايا الخلفاء الراشدين .
وبالباى الثالث : وفيه وصايا من حكماء الجاهلية .
وبالباى الرابع : وفيه وصايا متفرقة للمتقدمين والمتأخرين .

وسوف يلاحظ القارىء أن هذه الوصايا تصور الظروف التاريخية والاجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ؛ فأنت تجد في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ، الإيجاز البديع والبلاغة التي لا تجارى ، مع التقيد بروح القرآن الكريم وحدوده ، بل ومعانيه ؛ وتجد في كلام أبى بكر رضى الله عنه ، شخصية الخليفة الورع الحريص على أثر لا يضيع ، وتركه لا تبدد ؛ وفي كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، روح الاستقرار النفسى ، ووضع الأسس للدولة الجديدة الظاهرة ، مع الورع والحزم ؛ وفي كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ريح الفتنة التي اشتعلت والحلافات التي دبت ؛ وفي كلام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، معانى الأسى على الفضائل المضيعة ، والحرص على جمع الكلمة ، ومجاهدة الأطماع ؛ مع زهد حقيقى ، وثقة بالله بالغة .

وهكذا تلمس في باقى الوصايا ، آثار العصور ، كأنك تعيش بينهم .

ثم شرحنا من الكلمات والمعانى ما يحتاج للشرح والتعليق وعزونا المقالات الى مصادرها المعروفة ، فجاء الكتاب على هذه الصورة التي يراها القارىء الكريم .

وحسبك أيها الأخ القارىء ، أن تقرأ منها سطوراً قليلة ، فتأثر بها ، وتسال الله النفع والهداية ، فيبارك الله لك في العلم القليل ، بالعمل الصالح ، فكم من حامل فقه ليس بفقيه ، وكم من حامل فقه إلى من هو أفقه منه ؛ والعبرة بما وقر في القلب وصدقه العمل ، وكانت معه النية الصالحة . وقد كانت طبعته الأولى بقطر والثانية بالمكتب الإسلامى ببيروت والثالثة وهذه الرابعة بالقاهرة .

نسأل الله أن ينفع به ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبد البديع صقر

الباب الأول

من هدى القرآن ٠٠ والنبوة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى في سورة الأنعام (١٥١ - ١٥٣) :

من هدى القرآن

(قُلْ تَعَالَوْا أَنزَلْ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ،
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وِإِبَاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥١ .
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ .
وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ
سَبِيلِهِ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٥٣) .

وقال تعالى في سورة الرعد (١٨ - ٢٨) :

(لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ
لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ
الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُشْرَسَ الْمَهَادُ ١٨ . أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ١٩ . الَّذِينَ
يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٠ . وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ
أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ٢١ . وَالَّذِينَ صَبَرُوا

ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
 وَيَدْرَمُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ٢٢ . جَنَّتْ عَدْنٌ
 يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ
 مِنْ كُلِّ بَابٍ ٢٣ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ٢٤ . وَالَّذِينَ
 يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
 وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٢٥ . اللَّهُ يَبْسُطُ
 الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي
 الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ٢٦ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ
 رَبِّهِ ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ٢٧ . الَّذِينَ
 آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ٢٨) .

وقال تعالى في سورة الاسراء (٢٣ - ٣٩) :

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ
 عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ
 لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ
 رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤ . رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ،
 إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ٢٥ . وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ
 حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا ٢٦ . إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا
 إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ٢٧ . وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ
 ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ٢٨ . وَلَا تَجْعَلْ
 يَدَكَ مَغْلُوبَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ٢٩ .
 إِنْ رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا
 بَصِيرًا ٣٠ . وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ،

إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۝ ٣١ . وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ
 سَبِيلًا ۝ ٣٢ . وَلَا تَمْتَلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ . وَمَنْ قُتِلَ
 مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ . إِنَّهُ كَانَ
 مَنصُورًا ۝ ٣٣ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
 أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝ ٣٤ . وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا
 كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ ٣٥ .
 وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ
 كَانَ عِنْدَهُ مَسْئُولًا ۝ ٣٦ . وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ، إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ
 الْأَرْضَ . وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝ ٣٧ . كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ
 مَكْرُوهًا ۝ ٣٨ . ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ، وَلَا تَجْعَلْ مَعَ
 اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩) .

وقال تعالى في سورة المؤمنون (١ - ١١) :

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ . وَالَّذِينَ
 هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ . وَالَّذِينَ هُمْ
 لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
 مَلُومِينَ ٦ . فَمَنْ ابْتغىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ . وَالَّذِينَ هُمْ
 لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ . وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ .
 أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ . الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١) .

وفي سورة الفرقان قال تعالى (٦٣ - ٧٧) :

(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
 الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣ . وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ٦٤ .

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۖ ٦٥ .
 إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ ٦٦ . وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ
 يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۖ ٦٧ . وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ،
 وَلَا يَمْتَلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ
 ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ ٦٨ . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
 مُهَانًا ۖ ٦٩ . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ
 سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ ٧٠ . وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا
 فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ ٧١ . وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ، وَإِذَا مَرُّوا
 بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ ٧٢ . وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا
 صُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ ٧٣ . وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا
 قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ ٧٤ . أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا
 وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَعْبِيرًا وَسَلَامًا ۖ ٧٥ . خَالِدِينَ فِيهَا ، حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ ٧٦
 قُلْ مَا يَعْجَبُوكُمْ بِرَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ ٧٧ .

وقال تعالى في سورة الشورى (٣٦ - ٤٣) :

(فَمَا أوتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى
 لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۖ ٣٦ . وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ
 وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْمِرُونَ ۖ ٣٧ . وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ،
 وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۖ ٣٨ .
 وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ۖ ٣٩ . وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ
 مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۖ ٤٠ .
 وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ۖ ٤١ . إِنَّمَا السَّبِيلُ

عَلَى الَّذِينَ يَظْلَمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٢ . وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ الْأُمُورِ ٤٣ .

سورة العصر :

وَالْعَصْرِ (١) . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ (٢) . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) .

سورة الهمزة :

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُحْمَةٍ (١) الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ
مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥)
نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَسَّدَةٌ (٨)
فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩) .

سورة الماعون :

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَيْتِيمَ (٢)
وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ
صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) .



من هدى النبوة

السنة هي ما جاء بسند صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو عمل أو اقرار .

وقد أكد القرآن الكريم منزلتها بقوله :

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ) (١) .

وقوله تعالى (مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (٢) .

وقوله تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (٣) .

والسنة المطهرة مليئة بالوصايا الخالدة ، والهداية الراشدة ، وقد اقتصرنا على إيراد بعض الأحاديث الصحيحة في هذه الرسالة ، وما هي إلا قطرة من بحر هداه صلى الله عليه وسلم .

الاعتصام بالكتاب والسنة

عن العرياض بن سارية ، قال :

صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : يا رسول الله ، كأن هذه موعظة مودّع فأوصنا ، فقال :

« أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ،

(٢) النساء : ٨٠

(١) الحشر : ٧

(٣) النجم : ٣ ، ٤

وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ .

وعن أنس ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يَا بُنَيَّ ، إِنْ قَدَّرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لِأَحَدٍ فافْعَلْ . »

ثُمَّ قَالَ « يَا بُنَيَّ ، وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي ، وَمَنْ أَحَبَّ سُنَّتِي فَقَدْ أَحْبَبَنِي ،
وَمَنْ أَحْبَبَنِي كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ . »

الصلاة

عن أبي الدرداء ، قال : أوصاني خليلي قال :

« لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَإِنْ قُطِعَتْ وَحُرِّقَتْ . وَلَا تَتْرُكْ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مَتَعَمِّدًا ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا ، فَقَدْ بَرَأَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ . وَلَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ . »

وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم :

قَالَ « يَا عَلِيُّ : ثَلَاثٌ لَا تَبْوَخُرُهَا : الصَّلَاةُ إِذَا آتَتْ ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ ، وَالْأَيْمُ (١) إِذَا وَجَدْتَ لَهَا كُفْرًا »

ذكر الموت

عن عبدالله بن عمر ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبتي ، فقال :

« كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ . »

(١) هي التي لازوج لها ، بكرا كانت أو ثيباً ، مطلقة كانت أو متوفى عنها زوجها .

وكان ابن عمر يقول :

« إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ . وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ،
وَتُخَذُ مِنْ صَحْتِكَ لِمَرْضِكَ . وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ » .

وعن جابر ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة
أيام يقول :

« لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى » .

فضل التسبيح

وعن سعد بن أبي وقاص قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال :

« أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ » فسأله سائل
من جلسائه : كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ ، قَالَ : - « يُسَبِّحُ
مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحِطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ ، .

الاستغفار والتوبة

عن أبي ذر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
يروى عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

« يَا عِبَادِي . إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ،
فَلَا تَظَالَمُوا .. يَا عِبَادِي . كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ؛ فَاسْتَهِنُونِي
أَهْدِيكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَانِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ؛ فَاسْتَطْعَمُونِي أُطْعِمْكُمْ .
يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِبْكُمْ . يَا عِبَادِي ،
إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا . فَاسْتَغْفِرُونِي
أَغْفِرْ لَكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضْرَبُونِي . وَلَنْ تَبْلُغُوا

نَفَعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ
 كَانُوا عَلَى أَتَقِي قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً .
 يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ ، كَانُوا
 عَلَيَّ أَفْجَرَ قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً .
 يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرِكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنِّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدِ
 وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي
 إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْبِطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ . يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ
 أَحْصِيهَا عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا . فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ . وَمَنْ
 وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ . »

الدعاء

عن أم سلمة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من بيته قال :

« بِسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ أَوْ
 نُنْزِلَ ، أَوْ نُظْلِمَ أَوْ نُظَلَّمَ ، أَوْ نَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا . »

وعن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رجل : « هووم لزممتي وديون
 يارسول الله ؛ قال صلى الله عليه وسلم :

« أَفَلَا أَعَلَّمَكُ كَلَاماً إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّكَ ، وَقَضَىٰ عَنكَ دَيْنَكَ ؟ »

قال : قلت : بلى . قال :

« قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ
 وَالْحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلْبَةِ الدِّينِ
 وَقَهْرِ الرِّجَالِ . » قال : فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَ اللَّهُ هَمِّي ، وَقَضَىٰ عَنِّي
 دَيْنِي .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تعوذوا بالله من جهد البلاء . ودرك (٢) الشقاء ، وسوء القضاء
وشماتة الأعداء » .

عشر كلمات

عن معاذ ، قال : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات ،
قال :

« لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئاً وَإِنْ قُتِلْتَ وَحَرِّقْتَ ؛ وَلَا تَعْتَنِ وَالِدَيْكَ وَإِنْ
أَمَرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ ؛ وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مَتَعَمِّدًا ،
فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مَتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِنَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ ؛ وَلَا تَشْرِبَنَّ
خَبْرًا فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاخِشَةٍ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ ؛ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حُلَّ سَخَطِ
اللَّهِ ؛ وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الرَّحْفِ وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ ؛ وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ
مَوْتُ (٣) وَأَنْتَ فِيهِمْ . فَاتَّبِعْ ؛ وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ ؛ وَلَا تَرْفَعْ
عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدْبَاءً ؛ وَأَخْفِضْهُمْ فِي اللَّهِ » .

الجهاد

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنْ تَدَبَّرَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانًا بِي وَتَصَدِيقًا
بِرُسُلِي ؛ أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيَسَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ » .

(١) جهد البلاء : المصائب تصيب الإنسان ويعجز عن دفعها .

(٢) بفتح الراء أو سكونها أى من الإدراك لما يلحق الإنسان من تبعته .

(٣) أى طاعون أو وباء .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَعْدُوَّةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »

وعن زيد بن خالد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ ، فَقَدْ غَزَا » .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« أَلْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكْفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدِّينَ »

وعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ ، وَلَا يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدِ غُبَارٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ . وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّعْ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبٍ عَبْدٍ أَبَدًا » .

آداب « اللقاء »

عن البراء بن عازب ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا » .

وعن معاوية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرَّجَالُ قِيَامًا (١) فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

(١) أى يقوموا له كلما أقبل عليهم .

اللسان

وعن بلال بن الحارث ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الشَّرِّ مَا يَعْلَمُ مَبْلَغَهَا يَكْتُبُ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ » .

أخلاق المؤمنين

عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ ذَبَّ (١) عَنْ لَحْمِ أُخِيهِ بِالْمَغِيبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ » .

وعن أبي ذر ، قال : قلت يارسول الله أوصني ، قال :

« أوصيك بتقوى الله ، فإنه أزين لأمرِك كُلِّهِ » قلت : زدني ، قال : عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عزَّ وجلَّ ، فإنه ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ ، وَنُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ » . قلت : زدني . قال : « عَلَيْكَ بِطُولِ الصَّمْتِ ، فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ » . قلت : زدني قال : « إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحْكِ ، فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ » . قلت : زدني . قال : « قُلِ الْحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا » قلت : زدني . قال : « لَا تَخَفْ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ » . قلت : زدني . قال : « لِيَحْجِزَكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُ عَنْ نَفْسِكَ » .

(١) أى دافع عن سمعته وعرشه .

وروى البخارى والترمذى وابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافٍ فِي بَدَنِهِ ، لَهُ قُوتٌ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حَبِزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا . »

الغيبة

وعن أبي سعيد وجابر ، قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزَّوْنِ » . قالوا : يا رسول الله وكيف الغيبة أشد من الزُّنَا ؟ قال : « إِنْ الرَّجُلُ يَزْنِي فَيَتُوبَ . فَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَإِنْ صَاحِبَ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفِرَ لَهَا صَاحِبُهُ . »

العصبية

عن عبادة بن كثير الشامي من أهل فلسطين . عن امرأة منهم يقال لها فسيلة ، أنها قالت :

سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ : « يَا رَسُولَ اللَّهِ . أَمِنَ الْعَصْبِيَّةُ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ » قَالَ « لَا ؛ وَلَكِنْ مِنْ الْعَصْبِيَّةِ أَنْ يَنْصُرَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ » .

الاخلاص

وعن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ . بِيضَاءٍ . فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هِبَاءً مَنْثُورًا » قال ثوبان . يا رسول الله صفهم لنا . جلَّهم لنا . لانكون منهم ونحن لانعلم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا » .

وعن عائشة وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِيهِ » .

بر الوالدين والرحم

وعن أبي هريرة ، قال : قال رجل :

يا رسول الله ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قال : « أُمُّكَ » .
قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : « أُمُّكَ » . قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : « أُمُّكَ » قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : « أَبُوك » .

وفي رواية ، قال :

« أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ » .

وعن عبدالله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مِنْ أَلْكَبَائِرِ شَتَمِ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ » . قالوا : يا رسول الله ، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ؟ قال : « نَعَمْ ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ » .

وعن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ مِنْ أَبْرِّ الْبِرِّ صِلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلَّى » .

وعن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ »

وعن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَا مِنْ وُلْدٍ بَارٍ يَنْظُرُ إِلَى وَالِدَيْهِ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ حَجَّةً مَبْرُورَةً » (١) .

قالوا : وإن نَظَرَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ ؟ قال :

« نَعَمْ ، اللَّهُ أَكْبَرُ وَأَطْيَبُ » .

الرحمة والتعاون

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالسَّاعِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ، وَأَحْسِبُهُ قَالَ : « كَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ كَالصَّائِمِ لَا يَفْطِرُ »

وعن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَنَا وَكَافِلُ أُلَيْتِيمٍ لَهُ وَلِغَيْرِهِ ، فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا » وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا .

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا » ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ .

وعن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أَعَاثَ مَلْهُوفًا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ثَلَاثَةَ وَسَبْعِينَ مَغْفِرَةً : وَاحِدَةً فِيهَا صِلَاحٌ أَمْرِدُ كُلَّهُ ، وَأَثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ لَهُ دَرَجَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

(١) أى ثواب حجة - لكن هذا الثواب لا يستقط عنه فريضة الحج ٥

الحب فى الله

عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ؟ الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي » .

وعن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ ، يَغْفِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ ؟ قَالَ :

« هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا . فَوَ اللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ . وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ » . وقرأ هذه الآية :

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَأَخْوَفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » (١)

الخصومة

عن أبى أيوب الأنصارى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ . يَلْتَقِيَانِ فَيَعْرِضُ هَذَا وَيَعْرِضُ هَذَا . وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » .

(١) سورة يونس (الآية : ٦٢) - والولاية أمر ظنى لا يجوز الجزم به من جانب العباد - لأن شرطها - الإيمان والتقوى - لا يعلمها إلا الله تعالى .

وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُضْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيُنْمِي خَيْرًا » .

وزاد مسلم ، قالت : ولم أسمعه - تعنى النبي صلى الله عليه وسلم - يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : الْحَرْبِ ؛ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ ؛ وَحَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ ، وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا (١) .

وعن ابن عمر قال : صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال :

« يَا عَشْرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ ؛ لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ؛ وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ » .

التانى والاقتصاد

عن عبدالله بن سرجس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« السَّمْتُ الْحَسَنُ (٢) وَالتُّودَةُ وَالْاِقْتِصَادُ (٣) جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ » .

(١) أى مثل قول كل منها للآخر « إني أحبك ولا أحب غيرك » .

(٢) السمت الحسن : السيرة المرضية والطريقة المستحسنة .

(٣) الاقتصاد : التوسط فى الأحوال والتحرز من طرفى الإفراط والتفريط :

وعن مصعب بن سعد ، عن أبيه ، قال الأعمش : لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« التؤدة في كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الآخِرَةِ » .

الحياء وحسن الخلق

عن عمران بن حصين ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ » وفي روايةٍ - « الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ » .

وعن عبدالله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً » .

وعن أبي ذر . قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ . وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّجُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » .

وعن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إِنَّ أَلْحِيَاءَ وَالْإِيمَانَ قَرْنَانِ جَمِيعاً ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ » .

الغضب والكبر

عن أبي هريرة ، أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني . قال :

« لَا تَغْضَبْ » فردد ذلك مراراً قال : « لَا تَغْضَبْ »

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ » .

الظلم

عن ابن عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وعن أبي موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » .

ثم قرأ :

(وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) (١) .

وعن علي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى حَقَّهُ . وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ » .

الأمر بالمعروف

عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ : فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ . وَذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيمَانِ » .

عن أبي بكر الصديق ، قال :

يا أيها الناس ؛ إنكم تَمَرُّوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ :

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ، لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ) (٢) .

(١) المائدة : ١٠٥

(١) هود : ١٠٢

فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُشْكراً فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ ، يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ » . رواه ابن ماجة وَالتِّرْمِذِيُّ .

وَفِي رِوَايَةٍ أَبِي دَاوُدَ : « إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ » .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَهُ :

« مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ لَا يُغَيِّرُونَ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابِهِ »

الدنيا

عن ابن عباس قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ » .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حُجِبَتِ النَّارُ بِالشُّهُوَاتِ ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ »

عن عمرو بن عوف ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فَوَاللَّهِ مَا أَلْفَقَرُ أَخشىَ عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخشىَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكْكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ » .

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ يَأْخُذْ عَنِّي هُوَ لَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يَعْلَمُ مَنْ يَعْمَلُ

بِهِنَّ ؟ » قلت : أنا يا رسول الله ؛ فَأَخَذَ بِيَدِي فَعَدَّ خَمْساً فَقَالَ :

« اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ
أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنَ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا ، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ
لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمَيِّتُ
الْقَلْبَ . »

طلب الدنيا

عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرَّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ
النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرَّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ عَنِ
الْجَنَّةِ إِلَّا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ؛ وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ أَلْقَى فِي رَوْعِي (١) أَنْ نَفْسًا
لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا ، أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ . وَأَجْمِلُوا (٢) فِي
الطَّلَبِ . وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءَ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ
لَا يَذْرَكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ . »

عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« مَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الْآخِرَةِ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ ، وَجَمَعَ لَهُ
شَمْلَهُ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ طَلَبَ الدُّنْيَا جَعَلَ
اللَّهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَشَتَّتْ عَلَيْهِ أَمْرَهُ . وَلَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَّا مَا كُتِبَ
لَهُ . »

(١) الروح : القلب أو النفس ، والمعنى أنه أوحى إلى وحيًا خفيًا .

(٢) أى أحسنوا .

الرياء

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكَ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكَتُهُ وَشِرْكُهُ)

فِي رِوَايَةٍ : « فَأَنَا مِنْهُ بَرِيٌّ ، هُوَ وَالَّذِي عَمَلُهُ » .

عن شداد بن أوس ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ » (١) .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى الحارث بن كعب - به ولي وفدهم - عمرو بن حزم الأنصاري ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ، ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمره فيه بأمره :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (٢) . عَقَدْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرُو بْنِ حَزْمٍ ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ ، لَأَمْرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (٣) وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ الْحَقَّ كَمَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ ، وَأَنْ يُبَيِّرَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ ، وَيَنْهَى النَّاسَ فَلَا يَمَسُّ أَحَدٌ الْقُرْآنَ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ وَيُخْبِرُ

(١) لكن إعلان الصدقة مع الحذر من الرياء لا بأس به :

(٢) النحل : ١٢٨

(٣) المائدة : ١

النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ وَبِالَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَيَلِينَ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ فِي الظُّلْمِ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَرِهَ الظُّلْمَ وَنَهَى عَنْهُ وَقَالَ :

(أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) (١) وَيُبَشِّرُ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَبِعَمَلِهَا ، وَيُنذِرُ
بِالنَّارِ وَبِعَمَلِهَا ، وَيَسْتَأْذِنُ النَّاسَ حَتَّى يَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ، وَيَعْلَمُ
النَّاسَ مَعَالِمَ الْحَجِّ وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ،
وَالْحَجِّ الْأَصْغَرِ وَهُوَ الْأَعْمَرَةُ ، وَيُنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ
صَغِيرٍ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا وَاحِدًا يَثْنِي طَرْفَيْهِ عَلَى عَاتِقَيْهِ ، وَيُنْهَى النَّاسَ
أَنْ يَحْتَبِيَ (٢) أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يَفْضِي بِفَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَيُنْهَى
أَنْ لَا يَعْقُصَ (٣) أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ إِذَا عَفَا (٤) فِي قَفَاهُ ، وَيُنْهَى - إِذَا
كَانَ بَيْنَ النَّاسِ هَيْجٌ (٥) - عَنِ الدَّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ ، وَلِيَكُنْ
دُعَاؤُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ وَدَعَا إِلَى
الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيَقْطَعُوا بِالسَّيْفِ حَتَّى يَكُونَ دُعَاؤُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ
لِلشَّرِيكِ لَهُ ، وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الوُضُوءِ : وَجُوهَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ إِلَى
الْمِرْفَاقِ ، وَأَرْجُلَهُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَيَمْسَحُونَ بِرُؤُوسِهِمْ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ ، وَأَمَرَهُ بِالصَّلَاةِ لَوْقَتِهَا ، وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالخُشُوعِ ، وَيُغْلَسُ (٦)
بِالْفَجْرِ ، وَيُهْجَرُ (٧) بِالْهَاجِرَةِ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ
وَالشَّمْسُ فِي الْأَرْضِ مُدْبِرَةً ، وَالْمَغْرِبِ حِينَ يُقْبَلُ اللَّيْلُ ، لِاتُّوَخَّرَ حَتَّى

(١) هود : ١٨

(٢) يجمع ظهره وساقيه بثوب أو غيره وقد يحتج بيديه :

(٣) يصفره ويفتله ؛ (٤) كثر وطال ؛

(٥) ثوران ؛ (٦) يبكر في صلاة الفجر ؛

(٧) في رواية « هجر الظهر » يبكر إلى صلاته ؛

تبدو النجوم في السماء . والعشاء أوّل الليل ، ويأمر بالسّعي إلى الجمعة إذا نُودِيَ لها . والغسل عند الرواح إليها : وأمره أن يأخذ من المغانم خمسَ الله وما كُتِبَ على المؤمنين في الصدقة . من العقار عشر ماسقت العين (١) وما سقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب (٢) نصف العشر . وفي كل عشر من الإبل شاتان ، وفي كل عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة . وفي كل ثلاثين من البقر تبيع (٣) : جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، فإنها فريضة الله التي افترض الله عز وجل على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له .

وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين . له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته ، فإنه لا يُفتن عنها ، وعلى كل حالم ذكر أو أنثى ، حرٌّ أو عبد دينارٌ وافر ، أو عوضه ثياباً ، فمن أدّى ذلك ، فإن له ذمة الله وذمة رسوله . ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً « (٤)

صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

(١) في رواية ماسق البعل : أى الماء الجارى :

(٢) الدلو العظيمة .

(٣) تبيع دخل في السنة الثانية ذكرأ كان أو أنثى .

(٤) الجزية على غير المسلمين أشبهه ببدل التجنيد لأنه لايجوز تكليفهم بالقتال في سبيل

الباب الثاني

وصايا الخلفاء الراشدين والصحابة

وصية أبي بكر الصديق الى خالد بن الوليد

كان أبو بكر رضي الله عنه قد بعث المشي بن حارثة الشيباني على جيش إلى العراق ، فقدم العراق فقاتل وأغار على أهل فارس ونواحي السواد فقاتل حولاً أو نحوه - ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يستمده فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو بالهامة :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد .. فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر دينه ، وأعز وليه ، وأذلَّ عدوه ، وغلب الأحراب فرداً . قال الله تعالى (وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (١) وعداً لاخلف له ، ومقالاً لا ريب فيه ، وفرض على المؤمنين الجهاد فقال عزَّ من قائل :

(١) النور : ٥٥ .

(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهُ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ) (١) . فاستتموا موعِد الله إِيَّاكُمْ ، وأطيعوه فيما فَرَضَ عَلَيْكُمْ ،
وإن عَظُمَتْ فِيهِ الْمُتُونَةُ واشتدَّت فِيهِ الرَّزِيَّةُ ، وَبَعُدَتْ فِيهِ الشَّقَّةُ ،
وَفُجِعْتُمْ فِي ذَلِكَ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَسِيرٌ فِي عَظِيمِ ثَوَابِ اللَّهِ
وَلَقَدْ ذَكَرْنَا لَنَا الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الشَّهَادَةَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَاهِرِينَ سَيُوفِهِمْ لَا يَتَمَنَّوْنَ عَلَى اللَّهِ شَيْئاً إِلَّا آتَاهُوهُ ، حَتَّى
أَعْطَوْا أَمَانِيَهُمْ ، وَمَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، فَمَا شَيْءٌ يَتَمَنَّاهُ الشَّهِيدَ بَعْدَ
دُخُولِهِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَرُدَّهُمُ اللَّهُ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْرَضُونَ (٢) بِالْمَقَارِيضِ فِي
اللَّهِ لِعَظِيمِ ثَوَابِ اللَّهِ .

انفروا - رحمكم الله في سبيل الله - بخفافاً وثقالاً ، وجاهدوا
بأهوائكم وأنفسكم في سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فقد
أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق لا يبرحه حتى يأتيه أمرى ،
فسيروا معه ؛ وَلَا تَشَاقَلُوا عَنْهُ فَإِنَّهُ سَبِيلُ يُعَظَّمُ اللَّهُ فِيهِ الْأَجْرَ لِمَنْ حَسَنَتْ
فِيهِ نِيَّتُهُ ، وَعَظُمَتْ فِي الْخَيْرِ رَغْبَتُهُ ، فَإِذَا قَدِمَ الْعِرَاقَ فَكُونُوا بِهَا حَتَّى
يَأْتِيَكُمُ أَمْرِي ، كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(٢) يستشهدون فيجزون الجزاء الحسن .

(١) البقرة : ٢١٦

وصية أبي بكر الصديق الى عمر بن الخطاب

لما مرض أبو بكر رضى الله عنه مرضه الذى توفى فيه عهد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال :

« إِنِّى مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بَعْدِى ، وَمَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ عَمَلٌ بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ النَّهَارُ ، وَعَمَلٌ بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ اللَّيْلُ ، وَإِنَّهُ لَا تَقْبَلُ نَافِلَةٌ حَتَّى تَوْتِيَ الْفَرِيضَةَ فَإِنَّهُ إِذَا ثَقُلْتَ مَوَازِينَ مِنْ ثِقَلْتِ مَوَازِينَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثَقَلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَحَقَّ لِمِيزَانِ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ ، وَحَقَّ لِمِيزَانِ لَا يَوْضَعُ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا .

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ إِنِّى أَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ إِنِّى لَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ . وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَنِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا ، وَلَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا يُبْلِغُ يَدَهُ إِلَى التَّهْلُكَةِ .

فَإِذَا حَفِظْتَ وَصِيَّتِى فَلَا يَكُنْ غَائِبًا أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَتَيْكَ ، وَإِذَا ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِى فَلَا يَكُنْ غَائِبًا أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَلَسْتَ بِمُعْجِزِ اللَّهِ .

يا عمر ، أَبْغَضَكَ مُبْغِضٌ وَأَحَبَّكَ مُحِبٌّ ، وَقَدِمَا يُبْغِضُ الْخَيْرَ
وَيُحِبُّ الشَّرَّ .

فقال عمر : « لا حاجة لي فيها (يعني الخلافة) » فقال له :

ولكن لها بك حاجة يا ابن الخطاب ، إني إنما أستخلفك نظراً لما
خَلَفْتُ ورائي . قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وَصَحْبَتَهُ ،
ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه حتى إن كنا لنهدى لأهله فضل ما يأتينا
منه ، ورأيتني وصحبتني ، وإنما اتبعتُ أثر من كان قبلي ، والله ما نمتُ
فحَلِمْتُ ، ولا تَوَهَّمْتُ فَسَهَوْتُ ، وإِنِّي لَعَلَى السَّبِيلِ ما زَغْتُ . إن أول
ما أَحَذَّرُكَ يا عمرُ نفسك ، إن لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها تبادت في
غيرها ؛ واحذر هؤلاء النَّفَرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ طَمَحَتْ
أَبْصَارُهُمْ ، وانتفخت أجوافهم ، وأحَبَّ كُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ نَفْسَهُ ، وإن
لهم لحيرة عند زلة واحد منهم ، فإياك أن تكونه ، فإنهم لن يزلوا خائفين
لك فَرِيقَيْنِ مِنْكَ ما زلت خائفاً لله وفريقته ، وَلَكَ مُسْتَقِيمِينَ ما استقامت
طريقتك .

وهذه وصيتي وأقرأ السلام عليك

أبو بكر وجيش أسامة بن زيد

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة على رأس
جيش وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم (١) وكان آخر بعث بعثه
الرسول صلى الله عليه وسلم وكان بينهم عمر بن الخطاب .

(١) البلقاء في الضفة الشرقية لنهر الأردن (وعاصمتها عمان الآن) والداروم قلعة

جنوب غزة .

وما كاد الجيـش يجاوز الخندق حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقف أسامة حتى استخلف أبو بكر ثم أرسل عمر بن الخطاب إلى أبي بكر يستأذنه الرجوع للوقوف إلى جواره في موقفه الخطير الجديد لما توقعه من انتقاض بعض القبائل وارتدادهم ، ولما علم من رغبة الأنصار أن يولى عليهم رجل أقدم سنًا .

فلما أخبر عمر أبا بكر بما قال أسامة ، قال أبو بكر :

« والله لو علمت أن السباع تجرُّ برجلي إن لم أرده مارددته ولا حذلت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال عمر :

« إن الأنصار يطلبون إليك أن تولى أمرهم رجلاً أقدم سنًا من أسامة » .

فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر وقال :

« ثكلتك أمك وهدمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه ؟ »

فعاد عمر إلى الناس فقالوا له : ما صنعت ؟

فقال : « امضوا ثكلتكم أمهاتكم ، ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله » .

ثم نادى منادى أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليم بعث أسامة :

« ألا لايبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف » (١) .

(١) الجرف مكان على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام .

وقام أبو بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« يا أيها الناس ، إني وليتُ هذا الأمر وأنا له كاره والله لو ددتُ أو
أنَّ بعضكم كفانيه ، وإنمَّا أنا مثلكم ، وإني لا أدري لعلكم ستكلموني
ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يطيق ، إنَّ الله اصطنى محمداً على
العالمين ، وعصمه من الآفات وإنمَّا أنا متَّبِع ، واستُ بِمُبتَدِع ولستُ
بِخَيْرِ مَنْ أَحَدِكُمْ ، فراعوني ، فإن رأيتُموني استقمتم فتابعوني وإن
رأيتُموني زغت فقوموني ؛ وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضَ وإيس
أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دُونَهَا ، ألا وإن لي
شيطاناً يعتريني ، فإذا أتاني فاجتنبوني لا أوتِر في أشعازِكُمْ وأبشارِكُمْ . »

ثم أشخص الجيش وتبعه وهو ماش وأسامة راكب وعبدالرحمن بن
عوف يقود دابه أبي بكر ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله ، والله لتركبن
أو لأنزلن ، قال :

« والله لا تنزل ، والله لا أركب ، وما عليَّ أن أغبر قدمي في سبيل
الله ساعة ، فإن للغازی في كلِّ خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له
وسبعمائة درجة تُرفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة . »

ولما انتهى قال لأسامة : إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل ، فأذن له . ثم
قال أبو بكر :

« يا أيها الناس ؛ قفوا أوصيكم بعشرٍ فاحفظوها عني :

لا تخونوا ، ولا تغلُّوا ، ولا تغدروا ، ولا تُمَثِّلُوا ، ولا تقتلوا طفلاً
صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ،
ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة أو بقرة ولا بهيراً إلا لما كَلَه
وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصَّوامع فدعوهم وما فرغوا

أَنْفُسُهُمْ لَهُ ، وَسَوْفَ تَقْدُمُونَ عَلَى قَوْمٍ يَأْتُونَكُمْ بِأَنْبِيَاءٍ فِيهَا أَلْوَانٌ مِنَ الطَّعَامِ ، فَإِذَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ، وَتَلْقَوْنَ أَقْوَاماً قَدْ فَحَصُوا أَوْسَاطَ رِوُوسِهِمْ وَتَرَكُوا حَوْلَهَا مِثْلَ الْعَصَائِبِ فَاخْفَقُوهُمْ بِالسَّيْفِ خَفَقاً . انْدَفَعُوا بِاسْمِ اللَّهِ . » .

ثُمَّ قَالَ لِأَسَامَةَ :

« اصْنَعْ مَا أَمَرَكُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اِبْدَأْ بِبِلَادِ قِضَاعَةَ ثُمَّ آتِ آبِلَ (١) ، وَلَا تُقْصِرَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . » .

كتاب عمر الى ابي موسى الأشعري

وكتب عمر إلى أبي موسى وهو بالبصرة :

بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَأْذِنُ لِلنَّاسِ الْجَمَاءِ الْغَنَمِيرِ ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَادِّنْ أَهْلَ الشَّرَفِ ، وَأَهْلَ الْقُرْآنِ وَالتَّقْوَى وَالِدِينَ ، فَإِذَا أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ فَادِّنْ لِلْعَامَةِ ، وَلَا تَتَوَخَّرْ عَمَلَ الْيَوْمِ لِغَدٍ ، فَتَتَدَاكَ (٢) عَلَيْكَ الْأَعْمَالُ فَتَضْيَعُ ، وَإِيَّاكَ وَاتِّبَاعَ الْهَوَى ، فَإِنَّ لِلنَّاسِ أَهْوَاءَ مُتَّبِعَةً ، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً ، وَضَغَائِنَ مَحْمُولَةً ، وَحَاسِبَ نَفْسِكَ فِي الرِّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشَّدَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الرِّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشَّدَةِ كَانَ مَرْجِعُهُ إِلَى الرِّضَا وَالغَبْطَةِ ، وَمَنْ أَلْهَتْهُ حَيَاتُهُ وَشَغَلَتْهُ أَهْوَاؤُهُ عَادَ أَمْرُهُ إِلَى النَّدَامَةِ وَالحَسْرَةِ ، إِنَّهُ لَا يَتَّقِي أَمْرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ إِلَّا حَصِيفَ الْعَقْدَةِ ، بَعِيدَ التَّمَرَّةِ ، لَا يَحْنِقُ عَلَى جِرَّةٍ (٣) ، وَلَا يَطَّلِعُ النَّاسَ مِنْهُ عَلَى عَوْرَةٍ ، وَلَا يَخَافُ فِي الْحَقِّ لَوْمَةَ لَائِمٍ .

(١) آبل : بلد بالأردن .

(٢) تزدحم .

(٣) ما يبيض به البعير فيأكله ثانية والمقصود : لا يضر الحقد والحق .

إلْزَمَ أَرْبَعَ خِصَالٍ يَسَلِّمُ لَكَ دِينَكَ ، وَتَحَظُّ بِأَفْضَلِ حَظِّكَ : إِذَا
 حَضَرَ الْخِصْمَانِ فَعَلَيْكَ بِالْبَيِّنَاتِ الْعَدُولِ ، أَوْ الْإِيْمَانَ الْقَاطِعَةَ ، ثُمَّ
 تَأْذِنَ لِلضَّعِيفِ حَتَّى يَنْبَسِطَ لِسَانُهُ وَيَجْتَرِيءَ قَلْبُهُ ، وَتَعَاهَدُ الْغَرِيبَ فَإِنَّهُ
 إِذَا طَالَ حَبْسُهُ تَرَكَ حَاجَتَهُ وَانصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَاحْرَصْ عَلَى الصَّلْحِ
 مَا لَمْ يَبَيِّنْ لَكَ الْقَضَاءُ .

كتاب عمر الى ابي موسى الأشعري

(في القضاء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ : سَلَامٌ عَلَيْكَ .

أَمَّا بَعْدُ .. فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ، فَافْهَمَ إِذَا
 أَدَى (١) إِلَيْكَ ، وَانْفُذَ إِذَا تَبَيَّنَ لَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكَلُّمُ بَحْقٍ لِانْفِذِ
 لَهُ ، آسَ (٢) بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعُ
 شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ (٣) وَلَا يَبْأَسُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ . الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى
 وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ، وَالصَّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ
 حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا ، وَلَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ الْيَوْمَ (٤) فَرَاغَتْ فِيهِ
 عَقْلُكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ ، أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ،
 وَمَرَاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .

(١) أدى بالحجة احتج بها .

(٢) سو بينهم واجعل بعضهم أسوة لبعض .

(٣) ميلك معه لشرفه .

(٤) في قول آخر : بالأمس ..

الفهمَ الفهمَ فيما تَلَجَّجَ في صدركِ مَّا لَيْسَ في كتابِ الله ولا سُنَّةِ النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اعرف الأشباه والأمثال فقس الأمور عند ذلك بنظائرها ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بيّنة أمدأ ينتهى إليه ، فإن أحضر بيّنته أخذت له بحقه ، وإلا استحلت عليه القضية ، فإن ذلك أنفى للشك ، وأجلى للعمى ، وأبلغ في العذر .

المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد ، أو مُجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنياً (١) في ولاءٍ أو نسب ، فإن الله قد تولى منكم السرائر ، ودرأ (٢) بالبيّنات والأيمان ، وإيّاك وألغلق (٣) والضجر والتأذى بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يُعظّم الله به الأجر ، ويُحسِن به الذخر ، فمن صحّت نيّته ، وأقبل على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلّق (٤) للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه ، شأنه الله ، فما ظنك بثواب عند الله عز وجل ، وخزائن رحمته ، والسلام .

كتاب عمر الى ابي موسى الأشعري (في سياسة الدولة)

أما بعد .. فإن للناس نُفْرَةً عن سُلْطَانِهِمْ . فاعوذ بالله أن تُدرِكَنِي وإيّاك عَمِيَاءَ مَجْهُولَةٍ وَضَعَاتِنِ مَحْمُولَةٍ ، وَأَهْوَاءَ مُتَّبَعَةٍ ، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةٍ (٥)

(١) متهماً . (٢) دفع - الخديث (ادرأوا الحدود بالشبهات) .
(٣) ضيق الصدر . (٤) تكلف . (٥) مفضلة .

فَأَقِمِ الْحُدُودَ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ؛ وَإِذَا عَرَضَ لَكَ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لِلَّهِ ، وَالْآخَرُ لِلدُّنْيَا ، فَاتَّزِرْ نَصِيحَكَ مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى نَصِيحِكَ مِنَ الدُّنْيَا . فَإِنَّ الدُّنْيَا تَنْفَدُ وَالْآخِرَةُ تَبْقَى ، وَكُنْ مِنْ خَشِيَةِ اللَّهِ عَلَى وَجَلٍ ، وَأَخِفِ الْفُسْأَقَ وَاجْعَلْهُمْ يَدَا يَدَا ، وَرِجْلَا رِجْلَا (١) وَإِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْقَبَائِلِ ثَائِرَةٌ (٢) وَتَدَاعَوْا بِالْفُلَانِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ نَجْوَى (٣) الشَّيْطَانِ ، فَاضْرِبْهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَفِيثُوا (٤) إِلَى أَمْرِ اللَّهِ . وَتَكُونُ دَعْوَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ ، وَاسْتَدِمَّ النِّعْمَةَ بِالشُّكْرِ ، وَالطَّاعَةَ بِالتَّائِلِ ، وَالْمَقْدِرَةَ وَالنُّصْرَةَ بِالتَّوَاضُعِ وَالْمَحَبَّةِ لِلنَّاسِ .

وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ ضَبَّةً تَدْعُو بِالضَّبَّةِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ ضَبَّةَ سَاقِ اللَّهِ بِهَا خَيْرٌ أَقْطُ ، وَلَا مَنَعَ بِهَا مِنْ سُوءِ قَطْ ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَانْتَهِكْهُمْ (٥) عَقُوبَةً حَتَّى يَتَفَرَّقُوا إِنْ لَمْ يَفْقَهُوا ، وَأَلْصِقْ بِغَيْلَانَ ابْنَ خَرَّشَةَ مِنْ بَيْنِهِمْ (٦) ، وَعُدْ مَرْضَى الْمُسْلِمِينَ ، وَاشْهَدْ جَنَائِزَهُمْ ، وَافْتَحْ بَابَكَ لَهُمْ ، وَبَاشِرْ أَمْرَهُمْ بِنَفْسِكَ ، فَإِنَّمَا أَنْتَ أَمْرٌ مِنْهُمْ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ أَثْقَلَهُمْ حِمْلًا .

وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ قَدْ فَشَتْ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ هَيْئَةٌ فِي لِبَاسِكَ وَمَطْعَمِكَ وَمَرْكَبِكَ لَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ مِثْلُهَا ، فَإِيَّاكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْهَمَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِوَادٍ خِصْبٍ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا هَمَّةٌ إِلَّا السَّمْنُ ، وَإِنَّمَا حَتَفُهَا فِي السَّمْنِ .

(١) كبل أيديهم وأرجلهم بالأغلال والقيود .

(٢) عداوة وشحناء .

(٣) في صيغة أخرى : نحوه من انشيطان وهي الكبر والعظمة والقومية .

(٤) يعودوا . (٥) اشتد في عقوبتهم .

(٦) أي اجعل ثقفتك فيهم لأنهم لا يدعون بالقبليّة .

واعلم أن للعامل مَرَدًّا إلى الله ، فإذا زاعَ العاملِ زَاغَت رَعِيَّتَهُ ، وَأَنْ
أَشَقَى النَّاسَ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتَهُ وَالسَّلَامُ ۝

كتاب عمر الى سعد بن أبي وقاص

عند غزو فارس

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص ومن معه من الأجناد : قال
بعد حمد الله والثناء عليه :

أما بعد .. فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى كُلِّ
حَالٍ ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعِدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ ، وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي الْحَرْبِ ،
وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ،
فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخْوَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ ، وَإِنَّمَا يُنْصِرُ الْمُسْلِمُونَ
بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ لِلَّهِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عِدْدَنَا لَيْسَ
كِعِدْدِهِمْ ، وَلَا عُدَّتَنَا كِعِدَّتِهِمْ ، فَإِنَّ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ
عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ ، وَإِلَّا نُنْصِرْ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا ، فَاعْلَمُوا أَنَّ
عَلَيْكُمْ فِي سِيرِكُمْ حَفَظَةَ مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ ، وَلَا تَعْمَلُوا
بِمَعَاصِي اللَّهِ وَأَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا تَقُولُوا : إِنَّ عِدُونَا شَرٌّ مِنَّا ، فَلَنْ
يُسَلِّطَ عَلَيْنَا ، فَرُبَّ قَوْمٍ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ شَرًّا مِنْهُمْ ، كَمَا سَلَّطَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
- لَمَّا عَمَلُوا بِمَسَاحِظِ اللَّهِ - كَفَّارُ الْجَوْسِ ، فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ
وَعِدَاءُ مَفْعُولًا ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى
عَدُوِّكُمْ ، أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ لَنَا وَإِلَيْكُمْ .

وَتَرَفَّقْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ ، وَلَا تُجَشِّمُهُمْ مَسِيرًا يُنْعِبُهُمْ ، وَلَا
تُقْصِرْ بِهِمْ عَنِ مَنْزِلِ يَرْفُقُ بِهِمْ ، حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ - وَالسَّفَرُ لَمْ يُنْقِصْ

قوتهم - فإنهم ساءرون إلى عدو مُقيم ، حامى الأنفُس والكراع (١) ،
وأقِم بِمَن مَعَكَ في كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة يُحْيُونَ
فيها أنفُسهم ، ويرمُون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونَحْ منازلهم عن قُرَى أهل
الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يِرْزَأُ (٢)
أحدًا من أهلها شيئاً ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا
بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولّوهم خيراً ، ولا تستنصروا على أهل
الحرب بظلم أهل الصلح ، فإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون (٣)
بينك وبينهم ، ولا يخفَ عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من
أهل الأرض من تطمئن إلى نصحِهِ وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفَعك
خبرُهُ ، وإن صدقَكَ في بعضه ، وألغاشُ عينٍ عليك ، وليس عيناً لك ،
وليكن منك عند دُنُوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا
بينك وبينهم ، فتقطع السرايا (٤) أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع
عوراتهم ، وتنقّ (٥) للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخير
لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ،
واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد ، والصبر على الجلال ، ولا تخصّ بها
أحدًا بهوى فتضيعَ من رأيك وأمرك أكثر ممّا حابيت به أهل خاصّتك ،
ولا تبشّن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكابة ،
فإذا عاينت العدو ، فاضم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك . واجمع
إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال ،

(١) الخيل .

(٢) يصيب .

(٣) أرسل الخبّيرين .

(٤) قطع من الجيش .

(٥) تلقاه : اختاره .

حَتَّى تُبْصِرَ عَوْرَةَ عَدُوِّكَ وَمَقَاتِلَهُ ، وَتَعْرِفَ الْأَرْضَ كُلَّهَا كَمَعْرِفَةِ أَهْلِهَا ،
فَتَصْنَعُ بَعْدُوكَ كَصَنْفَعِهِ بِكَ ، ثُمَّ أَذْكَ أَحْرَاسِكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَبْقِظُ مِنْ
الْبَيَّاتِ (١) جِهْدَكَ ، وَلَا تُؤْتِيَ بِأَسِيرٍ لَيْسَ لَهُ عَقْدُ (٢) إِلَّا ضَرَبْتَ عُنُقَهُ
لِتُرْهَبَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكَ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْأَمْرِ وَمَنْ مَعَكَ . وَوَلَّى النُّصْرَ لَكُمْ
عَلَى عَدُوِّكُمْ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ .

من وصايا الحروب

كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول عند عقد الأوليه :
بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى عَوْنِ اللَّهِ ، امْضُوا بِتَأْيِيدِ اللَّهِ وَالنُّصْرِ ، وَلِزُومِ
الْحَقِّ وَالصَّبْرِ ، فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ كُفْرٍ بِاللَّهِ . وَلَا تَعْتَدُوا إِنْ اللَّهُ
لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَلَا تَجِبْنُوا عِنْدَ اللَّقَاءِ ، وَلَا تُمَثِّلُوا عِنْدَ الْقُدْرَةِ .
وَلَا تُسْرِفُوا عِنْدَ الظُّهُورِ ، وَلَا تُقْتُلُوا هِرْمًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا وَلِيدًا . وَتَوَقَّؤُوا
قَتْلَهُمْ إِذَا تَقَى الرَّحْفَانَ ، وَعِنْدَ حُمَّةٍ (٣) النَّهَضَاتِ ، وَفِي شَنَّ الْغَارَاتِ ،
وَلَا تَغْلُوا عِنْدَ الْغَنَائِمِ ، وَنَزَّهُوا الْجِهَادَ عَنِ عَرَضِ الدُّنْيَا ، وَأَبْشَرُوا
بِالرِّبَاحِ فِي الْبَيْعِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

كتاب عثمان الى اهل الموسم (٤)

أمر عثمان بن عفان رضى الله عنه عبدالله بن عباس أن يحج بالناس في
السنة التي قتل فيها (سنة ٣٥ هـ) وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم
أن يأخذوا له بالحق ممن حصره وهو :

(١) البيات : غارات العدو الليلية .

(٢) عهد .

(٣) حمة : - شدة .

(٤) بتصرف من الأصل جمهرة رسائل العرب ج ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« من عبد الله عثمان أمير المؤمنين ، إلى المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ، فإني أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو .

أما بعد : فإني أذكركم بالله جل وعز الذى أنعم عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلالة ، وأنقذكم من الكفر ، وأراكم البيئات ، وأوسع عليكم من الرزق ، ونصركم على العدو ، وأسبغ عليكم نعمه ، فإن الله عز وجل يقول وقوله الحق :

(وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (١). ثم

ذكرهم بآيات من الذكر الحكيم ، منها :

(أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (٢) .

وقال . وقوله الحق :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي

شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (٣). وقال أيضاً وقوله

الحق : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ،

(٢) النساء : ٥٩

(١) إبراهيم : ٣٤

(٣) النور : ٥٥

فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١) .

أما بعد : فإن الله عزَّ وجلَّ رضى لكم السمع والطاعة والجماعة ، وحذركم من المعصية والفرقة والاختلاف ونبأكم بما قد فعله بالذين من قبلكم ، وتقدم إليكم فيه ، ليكون له الحجة عليكم إن عصيتموه ، فاقبلوا نصيحة الله جل وعز ، واحذروا عذابه ، فإنكم لن تجدوا أمةً هلكت إلا من بعد أن تختلف ، إلا أن يكون لها رأس يجمعها ، ومتى ماتفعلون ذلك لاتقيموا الصلاة جميعاً ، وسلطَ عليكم عدوكم ، ويستحلَّ بعضكم حُرْمَ بعض ، ومتى يفعل ذلك لايقيمُ الله سبحانه دين ، وتكونوا شيعاً ، وقد قال الله جل وعز لرسوله صلى الله عليه وسلم :

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاءً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ . إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (٢) .

وإنى أوصيكم بما أوصاكم الله ، وأحذركم عذابه ، فإن شيعياً صلى الله عليه وسلم قال لقومه :

(وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ، وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ . وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ، إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ) (٣) .

(٢) الأنعام : : ١٥٩

(١) الفتح : ١٠

(٣) هود : ٨٩ ، ٩٠

أما بعد : فإن أقواماً من كان يقول في هذا الحديث أظهروا للناس
أنما يدعون إلى كتاب الله عز وجل والحق ، ولا يريدون الدنيا ولا
منازعة فيها ، فلما عرض عليهم الحق إذا الناس في ذلك شتى . منهم آخذ
للحق ونازع (١) عنه حين يُعْطَاهُ ، ومنهم تارك للحق ونازل عنه في
الأمر يُريد أن يَبْتِزَّهُ (٢) بغير الحق ، طال عليهم عُمرى . وراث (٣)
عليهم أَمَلَهُمُ الإِمرَةُ فاستعجلوا القدر ، وقد كتبوا إليكم أنهم قد رَجَعُوا
بالذى أُعْطِيْتُهُمْ ، ولا أعلم أنى تركتُ من الذى عاهدتهم شيئاً ، كانوا
زعموا أنهم يطلبون الحدود فقلت : أقيموها على من علمتم تعدّوها في
أحد ، أقيموها على من ظلمكم من قريب أو بعيد ، قالوا : كتاب الله
يُتلى ، فقلت : فَلْيَتْلُهُ من تلاه غير غَال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب ،
وقالوا : - المحروم يرزق ، والمال يوفى لِيُسْتَنَّ فِيهِ السُّنَّةُ الحسنة ،
ولا يعتدى في الخُمسِ ولا في الصَّدَقَةِ ، ويؤمّر ذو القوة والأمانة . وتُرد
مظالم الناس إلى أهلها ، فَرَضِيْتُ بِذَلِكَ واصطبرت له . وجئتُ نِسْوَةَ
النبي صلى الله عليه وسلم حتى كَلَّمْتُهُنَّ فقلت : ما تَأْمُرُنِنِي ؟ فقلنَّ :
تُؤمّرُ عمرو بن العاص (٤) ، وعبد الله بن قيس (٥) وتَدَعُ معاوية ،

(١) نزع عن الأمر كضرب : كف وأبى .

(٢) يستلبه . (٣) أبطأ عليهم .

(٤) مات « عمر » وعلى مصر « عمرو بن العاص » فلما ولي « عثمان » أقره على عمه
أربع سنين أو نحوها ثم عزله وولى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وهو أخو عثمان
من الرضاع .

(٥) هو أبو موسى الأشعري ، وكان عاملاً على البصرة لما قتل عمر فأقره عثمان عليها
وظل ست سنين ثم عزله عنها سنة ٢٩ هـ وولاها عبد الله بن عامر - وهو ابن خال عثمان -
فسار أبو موسى بن البصرة إلى الكوفة فلم يزل بها حتى أخرج أهل الكوفة سعيد بن العاص =

فإنما أمره أمير قبلك ، فإنه مصلح لأرضه ، راض به جُنده ، و اررد
عمرأ فإن جُنده راضون به ، فكل ذلك فعلت ، وإنه اعتدى على بعد
ذلك ، وعُدَى على الحق ، كتبت إليكم وأصحابي الذين زعموا في
الأمر استعجلوا القدر ، ومنعوا منى الصلاة (١) ، وحالوا بيني وبين
المسجد ، وابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة ، كتبت إليكم كتابي هذا وهم
يُخَيِّرُونَنِي إحدَى ثلاث : إما يُقِدُونَنِي بكل رجلٍ أصبته خطأً أو
صواباً غير متروك منه شيء ، وإما أعتزل الأمر فيومرون آخر غيري ،
وإما يُرسلون إلى من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من الذي
جعل الله سبحانه لي عليهم من السمع والطاعة ، فتمت لهم : أما إقادتني من
نفسى ، فقد كان من قبلى خلفاء تُخطيهُ وتصيب فلم يُستقمَد (٢) من أحد
منهم ، وقد علمتُ إنما يريدون نفسى ، وأما أن أتبرأ من الإمارة فإن
يَكْلُبُونِي (٣) أحب إلى من أن أتبرأ من عمل الله عز وجل وخلافته ،
وأما قولهم يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرءون من طاعتي ، فلست
عليهم بوكيل ، ولم أكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعة ، ولكن
أتوها طائعين يبتغون مرضاة الله عز وجل وإصلاح ذات البين ، ومن
يكن منكم إنما يبتغي الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عز وجل
له ، ومن يكن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة وابتغاء

— وطلبوا من عثمان أن يستعمل أبا موسى عليهم فاستعمله سنة ٣٤هـ فلم يزل على الكوفة
حتى قتل عثمان فعزله « على » عنها .

(١) لم يمكنوني من الصلاة . (٢) استقاد : ذل وخضع .

(٣) كلبه : أى ضربه بالكلاب — وهو قطعة الحديد التى على خف رائض الخيل .

مرضاة الله عز وجل والسنة الحسنة التي استن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتان من بعده رضى الله عنهما ، فإنما يجزى بذلكم الله ، وليس بيدي جزاؤكم ، ولو أعطيتكم الدنيا كلها ، أم يكن في ذلك ثمن لدينكم ، ولم يُغن عنكم شيئاً ، فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده ، فمن يرض بالنكث منكم فإنى لا أرضاه له ، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده ، وأما الذى يخيروننى فإنما كله النزع والتأمير ، فملكتم نفسى ومن معى ، ونظرت حكّم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه ، وكرهت سنة السوء وشقاق الأمة وسفك الدماء .

فإنى أنشدكم بالله والإسلام أن لاتأخذوا إلا الحق وتعطوه منى ، وترك البغى على أهله ، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عز وجل ، فإنى أنشدكم الله سبحانه الذى جعل عليكم العهد والموازرة فى أمر الله ، فإن الله سبحانه قال وقوله الحق :

(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ، إِنَّ الْعَهْدَ ، كَانَ مَسْئُولًا) (١) .

فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكرون .

أما بعد : فإنى لأبرى نفسى ، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربه إن ربه غفور رحيم ، وإن عاقبت أقواماً فما أبتغى بذلك إلا الخير ، وإنى أتوب إلى الله - عز وجل - من كل ما عملته وأستغفره ، إنه لا يغفر الذنوب إلا هو ، إن رحمة ربه وسعت كل شئ ، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون ، وإنه يقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون .

وأنا أسأل الله عز وجل أن يغفر لي ولكم ، وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير ، ويكره إليها الفسق ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون .

فقرأ ابن عباس هذا الكتاب على الناس قبل التروية (١) بمكة بيوم ، ثم قفل إلى المدينة وإذا عثمان قد قتل .

وصية على الى عثمان بن حنيف

بلغ علياً - رضى الله عنه - أن عامله على البصرة عثمان بن حنيف دعى إلى ونيمة قوم من أهلها فضى إليها فكتب إليه :

« أما بعد : يا بن حنيف ، فقد بلغنى أن رجلاً من فتية (٢) أهل البصرة دعاك إلى مأذبة فأسرعت إليها ، تستطاب لك الألوان ، وتُنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تُجيب إلى طعام قوم عائلهم (٣) مجفواً ، وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ماتقضيه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فتل منه .

ألا وإن لكل مأموم إماماً يُقتدى به وتستضي بنور علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمرته (٤) ومن طعمه بقرضيه ، ألا وإنكم لاتقصدون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد ، فوالله ما كنت من دنياكم تبرأ ، ولا ادخرت من غنائمها وفرأ ، ولا

(١) يوم التروية : هو اليوم الثامن من ذى الحجة يتزود الحجاج فيه بالماء ، لأنه كان قليلاً بمنى فكانوا يتزودون من الماء من بعيد .

(٢) يقال للشاب فتى وللسخى فتى . (٣) فقيرهم - مجفواً : أى متروك .

(٤) الطمر : - الثوب البالى .

أعددت لبالي ثوبي طمراً ، ولا حُزْتُ من أرضها شبراً . ولو شئت لاهتديت
 الطريق إلى مُصَفَّى هذا العسل . ولِيَاب هذا القمح ، ونسائج هذا القزِّ ،
 ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي إلى تَخْيِيرِ الأَطْعَمَةِ . ولعل
 بالحجاز وباليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع ،
 أو أبيتَ مِبطاناً وحولى بَطُونُ غَرَثِي (١) ، وأكباد حَرَى (٢) ، أو أكون
 كما قال القائل :

وحسبك عاراً أن تبيتَ بِبِطْنَةٍ

وحولك أكباد تحن إلى القدِّ (٣)

أفنع من نفسي بأن يقال : هذا أمير المؤمنين ، ولا أشاركهم في
 مكاره الدهر ، أو أكون أسوة (٤) لهم في جُشُوبَةِ (٥) العيش ، فما خُلِقْتُ
 ليشغلني أكل الطيبات ، كالبهيمة المربوطة ، هَمَّها علفها ، أو المرسله
 شُغْلُهَا تَقْسِمُهَا (٦) ، تكترش (٧) من أعلافها ، وتلهو عما يراد بها ، أو
 أتَرَكَ سُدَىً وأهمل عابثاً ، أو أجُرَّ جبل الضلالة ، أو أَعْتَسَفَ (٨)
 طريق المتاهة .

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا ، وعركت بجنبها بُوسَهَا (٩)
 وهجرت في الليل غُمُضَهَا ، حتى إذا غَلَبَ الكَرَى عليها ، افترشت

(٢) حارة من الظمأ .

(٤) قدوة .

(٦) تتبعها القمامات والتقاطها .

(٨) أركب الطريق على غير هدى .

(١) جياع .

(٣) القطعة من الخبز أو اللحم .

(٥) خشونة .

(٧) تملأ كرشها .

(٩) صبرت عليه .

أَرْضَهَا ، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا ، فِي مَعْشَرِ أَسْهَرِ عِيُونِهِمْ خَوْفٌ مَعَادِهِمْ ،
 وَتَجَافَتْ عَنِ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبِهِمْ ، وَهَمَّهَتْ (١) بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ ،
 وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبَهُمْ ، (أَوْلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ
 حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٢) .

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا بَيْنَ حَنِيفٍ . . . وَلْتَكْفِكَ أَقْرَابُكَ ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ
 خَلَاصُكَ .

كِتَابُ عَلِيِّ لِالأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ

وَمِنْ كِتَابِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - كِتَابُهُ لِالأَشْتَرِ
 النَّخَعِيِّ ، لَمَّا وَلاَهُ عَلَى مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا حِينَ اضْطَرَبَ أَمْرُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ -
 وَهُوَ أَطْوَلُ عَهْوِهِ وَأَجْمَعُ كِتَابِهِ لِلْمَحَاسِنِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الأَشْتَرُ
 فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ ، حِينَ وَلاَهُ مِصْرَ : جَبَايَةَ خَرَاஜِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ،
 وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا ، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا .

• أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَإِيْثَارِ طَاعَتِهِ ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ :
 مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهَا ، الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا . وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ
 جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا ، وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانَهُ ، فَإِنَّهُ -
 جَلَّ اسْمُهُ - قَدْ تَكْفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

(١) المهمة : الكلام الخفي وترديد الصوت .

(٢) المجادلة : ٢٢

وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ، ويزعها عند الجمحات ،
فإن النفس أماراة بالسوءِ ، إلا مارحم الله .

* ثم اعلم - يا مالك - أنى قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها
دولٌ قبلك ، من عدلٍ وجورٍ ، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل
ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقول
فيهم ، وإنما يستدلُّ على الصالحين بما يجرى الله لهم على السنِّ عباده ،
فليكن أحبُّ الذخائرِ إليك ذخيرة العملِ الصالحِ ، فاملِك هَوَاكَ وشح
بنفسك عما لا يحلُّ لك ، فإن الشحَّ بالنفس الإنصافُ منها فيما أحببتُ
أو كرهت . واشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطفَ بهم ،
ولا تكوننَّ عليهم سبعا ضارياً تغتم أكلهم ، فإنهم صنفان : إما أخٌ
لك في الدين ، أو نظيرٌ لك في الخلق . يفرط منهم الزللُ . وتعرض
لهم العللُ ، ويؤتى على أيديهم في العمدِ والخطأ ، فاعطهم من عفوكِ
وصفحك مثل الذى تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك
فوقهم ، ووالى الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولأك ، وقد استكفأك
أمرهم ، وابتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يد لك
بِنِقْمَتِهِ ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن على عفوه ،
ولا تبجحن بعقوبة ، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة ، ولا
تقولن إنى مؤمرٌ أمرٌ فأطاع ، فإن ذلك إدغالٌ فى القلب ، ومنهكةٌ
للدين ، وتقربٌ من الغير .

• وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة ، فانظر
إلى عظم ملكِ الله فوقك ، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك ،

فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ، ويكف عنك من غربك ، وبنى إليك بما عزب عنك من عقلك .

• إياك ومساماة الله في عَظَمَتِهِ ؛ والتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فإن الله يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

• انصِفِ اللهَ وانصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمِنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلا تَفْعَلِ تَظْلِمَ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصَمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمِنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حَاجَتَهُ ، وَكَانَ اللهُ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتُوبَ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نَقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظَلَمٍ ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمُرْصَادِ .

• وَلِيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعْمَهَا فِي الْعَدْلِ ؛ وَأَجْمَعَهَا لِرِضَا الرَّعِيَةِ ، فَإِنَّ سَخَطَ الْعَامَةِ يَجْحَفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ ، وَإِنْ سَخَطَ الْخَاصَّةِ يَغْتَفِرَ مَعَ رِضَا الْعَامَةِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِيِّ مَوْنَةً فِي الرِّخَاءِ ، وَأَقْلَ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ . وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ ، وَاسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ ، وَأَقْلَ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ ، وَأَبْطَأَ عِذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مَلَمَاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ . وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعِدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَةِ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَلِيَكُنْ صَفُوكَ لَهُمْ ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ .

• وَلِيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ ؛ وَأَشْنَأَهُمْ (١) عِنْدَكَ أَطْلِبَهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ ؛ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عَيْبًا . الْوَالِيُّ أَحَقُّ مِنْ سِتْرِهَا ، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا

(١) أَبْغَضَهُمْ .

غاب عنك منها ، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك . والله يحكم على ما غاب
عنك ، فاستر العورة ما استطعت ، يستر الله منك ما تحب ستره من
رعبتك ، أطلق عن الناس عقدة كل حقد ، واقطع عنك سبب كل
وتر (١) ، وتغاب عن كل مالا يصلح لك ولا تعجلن إلى تصديق ساع ،
فإن الساهي غاش ، وإن تشبه بالناصحين .

* ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ، ويعدك
الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره
بالجور ، فإن البخل والجبن والحِرْص غرائز شتى ، يجمعها سوء الظن بالله .
* إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن شرِّهم في
الآثام فلا يكونن لك بطانة ؛ فإنهم أعوان الآثمة ، وإخوان الظلمة ،
وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم ، وليس عليه
مثل آصارهم (٢) وأوزارهم (٣) ممن لم يعاون ظلاماً على ظلمه ، ولا آثماً
على إثمه ، أولئك أخف عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأخفى عليك
عظماً وأقل لغبيرك إلفاً ، فاتخذ أولئك خاصة لخلاواتك وحفلاتك ، ثم
ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرِّ الحق لك ، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك
مما كره الله لأولياته ، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع ، والصق بأهل
الورع والصدق ، ثم رضهم على أن لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله ،
فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو ، وتدنى من العزة .

* ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهداً
لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة .

(٢) الإصر : الذنب .

(١) الانتقام أو الظلم فيه .

(٣) الوزر : الإثم .

وألزم كلامهم ما ألزم نفسه . واعلم أنه ليس شيءٌ بآدعى إلى حسن ظن راع برغيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عليهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم ، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده ، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده .

ولا تنقض سنةً سالحة عمل بها صدور هذه الأمة ، واجتمعت بها الالفه ، وصلحت عليها الرعية ، ولا تحدثن سنةً تضر بشيء من ماضى تلك السنن ، فيكون الأجر لمن سنها ، والوزر بما نقضت منها .
وأكثر مدارس العلماء ، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك .

واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ، ولا غنى ببعضها عن بعض : فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الانصاف والرفق ، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة ، وكل قد سعى الله له سهمه ، ووضع على حده فريضة في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم - عهداً منه عندنا محفوظاً . فالجنود ، بإذن الله ، حصون الرعية ، وزين الولاية ، وعز الدين ، وسبل الأمن ، وليس تقوم الرعية إلا بهم ، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به على جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم . ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب ، لما يحكمون

من المعاهد ويجمعون من المنافع . ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وغوامها .
 ولاقوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوى الصناعات ، فيما يجتمعون عليه من
 مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم ، ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه
 رفق غيرهم ، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق
 رفقهم ومعونتهم ، وفي الله لكل سعة ، ولكل على الوالى حق بقدر ما
 يصلحه ، وليس يخرج الوالى من حقيقة ما أزمه الله من ذلك إلا
 بالاهتمام والاستعانة بالله ، وتوطين نفسه على لزوم الحق ، والصبر عليه
 فيما خف عليه أو ثقل ، فَوَلِّ مَنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ
 وَإِمَامِكَ ، وَأَنْقَاهُمْ جِيئاً ، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً ، مَنْ يَبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ ،
 وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعَذْرِ ، وَيِرَأْفُ بِالضَّعْفَاءِ ، وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ، وَمَنْ
 لَا يَشِيرُهُ الْعَنْفَ ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفَ .

* ثم الصق بذوى المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة
 والسوابق الحسنة . ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، فإنهم
 جِمَاعٌ مِنَ الْكُرْمِ ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعَرْفِ (١) . ثم يتفقد الوالدان من ولدهما
 ولا يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به ، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به
 وإن قل ، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك ، وحسن الظن بك . ولا
 تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها ، فإن الليسير من لطفك
 موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه .

* وليكن آثر روؤس جنلك عندك من واساهم في معونته . وأفضل
 عليهم من جدته ، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم ، حتى
 يكون همهم همأ واحداً في جهاد العدو ، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم

(١) العرف : الجود والمعروف .

عليك . وإن أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية ، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيبتهم على ولاة الأمور وقلة استئثار دولهم ، وترك استبطاء انقطاع مدتهم ، فافسح في آمالهم ، وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم . فإن كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع . وتحرض الناكل إن شاء الله .

* ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره ، ولا تقصرن به دون غاية بلائه ، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيراً (١) ولاضعه امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً .

* واردة إلى الله ورسوله ما يضلحك من الخطوب ، ويشتبه عليك من الأمور ، فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) (٢) . فالرد إلى الله : الأخذ بمحكم كتابه ، والرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة .

* ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتأدى في الزلة ، ولا يحصر من النية إلى الحق إذا عرفه . ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ، وأوقفهم في الشبهات . وآخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على تكشف الأمور ، وأصرمهم عند اتضاح الحكم . ممن لا يزدديه إطراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك

(١) دقيماً .

(٢) النساء : ٥٩

قليل . ثم أكثر تعاهد قضائه ، وأفسح له في البذل ما يزيل عنته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ، فانظر في ذلك نظراً بليغاً ، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار ، يعمل فيه بالهوى ، وتطلب به الدنيا .

• ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباة وآثرة ، فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة . وتوخ منهم أهل التجربة والحياء ، من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة ، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح اعراضاً ، وأقل من المطامع إشراقاً ، وأغلب في عواقب الأمور نظراً . ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم . وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك ، ثم تفقد أعمالهم ، وابتعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السر لأموهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان . فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة .

• وتفقد أمر الخراج (١) بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولاصلاح لمن سواهم إلا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة . ومن طلب

(١) الخراج : نصيب بيت المال مما يخرج من الأرض .

الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً . فإن شكوا ثِقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة ، أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش ، خففت عنهم ، بما ترجو أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك ؛ مع استجلابك حسن ثنائهم ، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم ، معتمداً فضل قوتهم ، بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم . فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه أنفُسهم به ، فإن العمران محتمل ما حملته ، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها ، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفُس الولاية على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

* ثم انظر في حال كتابك قولاً على أمورك خيرهم ، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائلك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجتريء بها عليك في خلاف لك بحضرة ملائ ، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك ، وإصدار جواباتها على الصواب عنك ، فيما يأخذ لك ويعطى منك ، ولا يضعف عقداً اعتقده لك ، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك ، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور ، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ، ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك ، فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاية بتصنعهم وحسن خدمتهم ، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء . ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك ، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً ، وأعرفهم بالأمانة وجهاً ،

فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره ، واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ، ولا يشنت عليه كثيرها . ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته .

• ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات وأوص بهم خيراً : المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق وجلاها من المباعد والمطarach في برك وبحرك وسهلك وجبلك . وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها ، فإنهم سلم لاتخاف بائقته وصلح لاتخشى غائلته . وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشى بلادك .

• واعلم -- مع ذلك -- أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً في البياعات ، وذلك باب مضرة للعامه . وغيب على الولاة ، فامنع من الاحتكار ، فإن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - منع منه . وليكن البيع بيعاً سمحاً : بموازين عدل ، وأسعار لاتجحف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به ، وعاقبه في غير إسراف .

• ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل ابؤس والزمى ، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً ، واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم ، واجعل لهم قسماً من بيت مالك ، وقسماً من غلات صوافى الإسلام في كل بلد ، فإن للأقصى منهم مثل الذى للآدنى ، وكل قد استرعيت حقه . فلا يشغلنك عنهم بطر ، فإنك لاتعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم ، فلا تشخص همك عنهم . ولأتصعّر خدك لهم ، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحقره الرجال . ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية

والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم ، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه ... فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم ، وكل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه . وتعهد أهل اليُتم وذوى الرقة في السن ممن لاحيلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه ، وذلك على الولاية ثقيل - والحق كله ثقيل - وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لهم .

• واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذى خلقك ، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتبع ، فإنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول فى غير موطن : « لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَّعٍ » . ثم احتمل الخرق منهم والعى ، ونحَّ عنهم الضيق والأنف . يبسط الله عليك بذلك أكتاف رحمته . ويوجب لك ثواب طاعته . وأعط ما أعطت هنيئاً ، وامنع فى إجمال وإعذار .

• ثم أمورٌ من أمورك لا بد لك من مباشرتها : منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتائبك ، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور عوانك . وامنص لكل يوم عمله ، فإن لكل يوم مافيه ، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت ، وأجزَلَ تلك الأقسام ، وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية .

• وليكن فى خاصة ما تخلص به لله دينك : إقامة فرائضه التى هى له خاصة ، فاعط الله من بدنك فى ليلك ونهارك ، ووفِّ ما تقربت به إلى

الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص ، بالغاً من بدنك ما بلغ . وإذا قمت في صلاتك للناس ، فلا تكونن منقراً ولا مضياً ، فإن في الناس من به العلة وله الحاجة . وقد سألتُ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم ؟ فقال : « صلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أضعفهم ، وكن بالمؤمنين رحيماً » .

أما بعد ، فلا يطولن احتجاجك عن رعيتك ، فإن احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلة علم بالأمر ؛ والاحتجاج منهم يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويؤشأ الحق بالباطل . وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور ، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، وإنما أنت أحد رجلين : إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ، فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه ، أو فعل كريم تسديه ، أو مبتلى بالمنع ، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك مع أن أكثر حاجات الدس إليك مما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة .

• ثم إن للوالي خاصة وبطانة ، فيهم استئثار وتناول وقلة إنصاف في معاملة ، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال . ولا تقطن لأحد من حاشيتك وخاصتك قطيعة ، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة ، تضر بمن يليها من الناس ، في شرب أو عمل مشترك ، يحملون مؤونته على غيرهم ، فيكون مهناً ذلك لهم دونك . وعيبه عليك في الدنيا والآخرة .

• والزِّمُّ الحق من نزمه من التريب والبعيد . وكن في ذلك صابراً
محسباً ، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع ، وابتغ عاقبته
بما يشقل عليك منه ، فإن مغبة ذلك محسودة .

• وإن ظننت الرعية بك حيفاً فأصحر (١) لهم بعذرک ، واعدل عنك
ظنونهم باصحارك ، فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك .
وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .

• ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك ولله فيه رضاء ، فإن في الصلح
دعة لجنودك ، وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك . ولكن الحذر كل
الحذر من عدوك بعد صلحه ، فإن العدو ربما قارب ليتغفل ، فخذ بالحزم ،
واتهم في ذلك حسن الظن . وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو
ألبسته منك ذمة ، فحط عهدك بالوفاء ، وارح ذمتك بالأمانة ، واجعلن
نفسك جنة دون ما أعطيت . فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد
عليه اجتماعاً ، مع تفرق أهوائهم . وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود .
وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب
الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك . فإنه
لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي . وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه
بين العباد برحمته ، وحرماً يسكنون إلى منعه ، ويستفيضون إلى جوارده .
فلا إدغال ولا مداسة ولا خداع فيه ، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل .
ولا تعاون على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة . ولا يدعوتك ضيق أمر ،
لزمك فيه عهد الله ، إلى طلب انفساخه بغير الحق . فإن صبرك على

(١) أظهره .

ضيق أمر ترجو انفراجة ، وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته .
وأن تحيط بك من الله فيه طلبه ، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك .
* إياك والدماء وسفكها بغير حلها ، فإنه ليس شيء أدنى لنقمة ،
ولا أعظم لتبعة ، ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدة ، من سفك
الدماء بغير حقها ، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد ، فيما تسافكوا
من الدماء يوم القيامة . فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك
مما يضعفه ويوهنه . بل يزيله وينقله ، ولا عذر لك عند الله ولا عندي
في قتل العمد ، لأن فيه قود البدن . وإن ابتليت بخطي وأفرط عليك
سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة ، فإن في الوكزة فما فوقها مقتلة ،
فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حتّمهم

* وإياك والإعجاب بنفسك ، والثقة بما يعجبك منها ، وحب
الإطراء ، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون
من إحسان المحسنين .

* وإياك والمن على رعيتك بإحسانك ، أو التّزيد فيما كان من فعلك ،
أو أن تعدهم فنتبع موعدك بخلفك ، فإن المن يبطل الإحسان ، والتزيد
يذهب بنور الحق ، والخلف يوجب المقت عند الله والناس . قال الله
تعالى : (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (١) .

* وإياك والعجلة بالأمر قبل أوانها ، أو التسقط فيها عند إمكانها
أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت ، فضع كل
أمر موضعه ، وأوقع كل أمر موقعه .

• وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة . والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون ، فإنه مأخوذ منك لغيرك . وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ، ويُنْتَصَفُ منك المظلوم . املك حميةً أنفك ، وسورة حدك ، وسطوة يدك ، وغرب لسانك . واحترس من كل ذلك بكف البادرة ، وتأخير السطوة ، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ، ولن تُحْكِمَ ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك (١) .

• والواجب عليك أن تتذكر ماضى لمن تقدمك من حكومة عادة ، أو سنة فاضلة ، أو أثر عن نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - أو فريضة في كتاب الله ، فتقتدى بما شاهدت مما عملنا به فيها ، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدتُ إليك في عهدي هذا ، واستوثقت به من الحجّة لنفسى عليك ، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها . وأنا أسأل الله بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقنى وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه ، مع حسن الثناء فى العباد ، وجميل الأثر فى البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وأن يختم لى ولك بالسعادة والشهادة ، إنا إليه راجعون . والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - . تسليماً كثيراً ، والسلام .

*** وصية على لابنه الحسن

ومن وصية لعلى بن أبى طالب لابنه الحسن رضى الله عنهما - كتبها إليه بحاضرين (٢) منصرفاً من صفين ، يصف نفسه وأولاده فى معرض الوعظ والتنفير من الدنيا .

(١) يرى كثير من المؤرخين أن أكثر ما نسب إلى على بن أبى طالب لم تثبت نسبت له بل هو من كلام ابن أبى الحديد وغيره . (٢) حاضرين : اسم بلدة فى نواحي صفين .

مَنْ الْوَالِدِ الْفَانِ ، الْمُقَرَّرِ الْمَزْمَانَ (١) ، الْمُدْبِرِ الْعُمُرِ ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ ،
 الذَّامِّ لِلدُّنْيَا ، السَّاكِنِ مَسَاكِنَ الْمَوْتَى ، وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَدَاً ، إِلَى الْمَوْلُودِ
 الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ (٢) . السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ
 وَرَهِيْنَةِ الْأَيَّامِ ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ . وَعَبْدِ الدُّنْيَا ، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ وَغَرِيْبِ
 الْمَنَايَا ، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ ، وَخَلِيْفِ الْهُمُومِ ، وَقَرِيْبِ الْأَحْزَانِ ، وَنُصْبِ
 الْآفَاتِ ، وَصَرِيْعِ الشَّهَوَاتِ ، وَخَلِيْفَةِ الْأَمْوَاتِ .

أَمَّا بَعْدُ . فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي وَجُمُوحِ الدَّهْرِ (٣)
 عَلَيَّ ، وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ ، وَالْاهْتِمَامِ
 بِمَا وَرَائِي ، غَيْرَ أُنْبَى حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي ،
 فَصَدَفَنِي رَأْيِي ، وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي ، فَأَفْضَى
 بِي إِلَى جِدِّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، وَوَجَدْتُكَ
 بَعْضِي . بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي . حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وَكَأَنَّ
 الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي . فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي ،
 فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ مُسْتَظْهِراً بِهِ (٤) إِنْ أَنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ .

• فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ - أَيْ بُنَى - وَلِزُومِ أَمْرِهِ ، وَعِمَارَةِ
 قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ . وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ . وَأَيُّ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ
 أَخَذْتَ بِهِ

(١) المعترف له بالشدة .

(٢) يؤمل البقاء وهو مما لا يدركه أحد .

(٣) استعصاء الدهر وتغلبه .

(٤) مستعبداً بما أكتب إليك على ميل قلبك وهوى نفسك .

. أَحَى قَلْبِكَ بِالْمَوْعِظَةِ ، وَأَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ ، وَقَوَّهُ بِالْيَقِينِ ، وَنَوَّرَهُ
 بِالْحِكْمَةِ ، وَذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَقَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ (١) . وَبَصَّرَهُ فَجَائِعَ
 الدُّنْيَا ، وَحَذَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ ، وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَاعْرِضْ
 عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ ، وَذَكَرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ ،
 وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ فَانظُرْ فِيمَا فَعَلُوا ؟ وَعَمَّا انْتَقَلُوا ؟ وَأَيْنَ حَلُّوا
 وَنَزَلُوا ؟ فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْيَةِ . وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ ،
 وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ ، فَاصْلِحْ مَشْوَاكَ ، وَلا تَبِيعْ آخِرَتَكَ
 بِدُنْيَاكَ ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لا تَعْرِفُ . وَالْخَطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ ، وَامْسِكْ
 عَنِ طَرِيقِ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ . فَإِنَّ الْكُفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ
 رُكُوبِ الْأَهْوَالِ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ ، وَانْكِرِ الْاُنْكِرَ بِيَدِكَ
 وَلِسَانِكَ ، وَبَيِّنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ (٢) وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ . وَ
 تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً ، وَخُصِّ الْعَمْرَاتِ (٣) لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ ،
 وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ
 التَّصَبُّرُ . وَاللَّجِيءُ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى
 كَهْفِ حَرِيرِزِ (٤) ، وَمَنْعِ عَزِيرِزِ . وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ . فَإِنَّ بِيَدِهِ
 الْعَطَاءَ وَالْحَرَمَانَ ، وَأَكْثَرَ الاسْتِخَارَةِ (٥) وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي . وَلا تَذْهَبَنَّ
 عَنْهَا صَفْحاً (٦) فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَع . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لا يَنْفَعُ
 وَلا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ .

(١) اطلب منه الإقرار بالفناء . (٢) باين : أى باعد وجانب الذى يفعل المنكر .

(٣) العمرات : الشدائد . (٤) الكهف : الملجأ . والحريز : الحافظ .

(٥) الاستخارة : إجمالة الرأى فى الأمر قبل فعله لإختيار أفضل وجوهه .

(٦) تذهب عنها صفحاً : أى لا تعرض عنها .

• أَيْ بُنَى .. إِنْ لِمَا رَأَيْتَنِي قَدْ بَلَغْتَ سِنًا ، وَرَأَيْتَنِي أَزْدَادَ وَهَنًا ،
بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَأُورِدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ
أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي . وَأَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَّصْتُ فِي
جَسْمِي ، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ أَلْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا ، فَتَكُونَ
كَالصَّعْبِ النَّفُورِ (١) وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أَلْتَنِي فِيهَا
مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتُهُ ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبَكَ ، وَيَشْتَغَلَ لُبُّكَ
لِتَسْتَقْبَلَ بِجَدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بِغَيْتِهِ وَتَجَرِبَتِهِ
فَتَكُونَ قَدْ كُفِّيتَ مَوْوَنَةَ الطَّلَبِ . وَعُوفِيَتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ ، فَآتَاكَ
مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ . وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ .

• أَيْ بُنَى ... إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمَرْتُ عُمَرَ مِنْ كَانَ قَبْلِي ، فَقَدْ
نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ ، وَسَرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عَدْتُ
كَأَحَدِهِمْ ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَى مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمَرْتُ مَعَ أَوْلَاهُمْ إِلَى
آخِرِهِمْ ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدْرِهِ ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ ، فَاسْتَخْلَصْتُ
لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ (٢) وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ
وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ
أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مَقْبَلُ الْعُمَرِ وَمَقْتَبِلُ الدَّهْرِ ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ
وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ ، وَأَنْ أُبْتَدِيَنَّكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ
وَأَحْكَامِهِ ، وَحِلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ
أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي
الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ بِهِ الْهَلَكَةَ

(١) الصَّعْبُ : الْقَرَسُ غَيْرَ الْمَذَالِ ، وَالنَّفُورُ : ضِدُّ الْأَنْسِ .

(٢) النَّخِيلُ : الْخِتَارُ الْمَصْنُوعُ .

ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لتصدقك . فعهدت إليك وصيتي هذه .

• واعلم يا بني ، أن أحب ما أنت آخذ به إلى من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آباتك ، والصالحون من أهل بيتك ، فإنهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا ، والإمساك عما لم يكلّفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، لا يتورط الشبهات وعلو الخصومات ، وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة باللهك ، والرغبة إليه في توفيقك . وترك كل شائبة أولجتك (١) في شبهة ، أو أسلمتكَ إلى ضلالة ، فإذا أيقنت أن قد صفا قلبك فحشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك في ذلك همّاً واحداً . فانظر فيما فسرت لك . وإن لم يجتمع لك ما تحب من نفسك . وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم أنك إنما تخبط العشواء (٢) وتتورط الظلماء . وايس طالب الدين من خبط أو خلط ، والإمساك عن ذلك أمثل .

• فتفهم يا بني وصيتي . واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت ، وأن المُفني هو المعيد ، وأن المبتلى هو المعافي ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد أو ماشاء مما لا نعلم ، فإن أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به ، فإنك أول ما خلقت جاهلاً ثم علمت ، وما

(١) أولجتك : أدخلتك .

(٢) العشواء : الضميمة البصر .

أكثر ما تجهل من الأمر . ويتحير فيه رأيك . ويفضل فيه بصرك . ثم تبصره بعد ذلك . فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك ، وليكن له تعبدك ، وإليه رغبتك . ومنه شفقتك (١) .

• واعلم يا بنى أن أحداً لم ينبيء عن الله كما أنبأ عنه الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - فارض به رائداً ، وإلى النجاة قائداً ، فإنى لم آلك نصيحة (٢) وإنك لن تبلغ فى النظر لنفسك - وإن اجتهدت - مبلغ نظرى لك .

• واعلم يا بنى أنه لو كان لربك شريك لأنتك رسله ، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه . ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه . لا يضاذه فى ملكه أحد . ولا يزول أبداً ، ولم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية (٣) ، وآخر بعد الأشياء بلا نهاية .

• يا بنى... اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تُظلم وأحسن كما تحب أن يُحسن إليك . واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك . وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يُقال لك .

• واعلم أن الإعجاب ضد الصواب وآفة الأبواب ، فاسع فى كدحك ولا تكن خازناً لغيرك (٤) . وإذا أنت هديت لقصده ، فكن أخشع ما تكون لربك .

(١) شفقتك : خوفك . (٢) لم آلك نصيحة : أى لم أقصر فى نصيحتك .

(٣) فهو أول بالنسبة إلى الأشياء لكونه قبلها . إلا أنه لا أولية ، أى لا ابتداء له .

(٤) أى لا تخزن المال ليأخذه الوارثون بعدك ، بل أنفق فيما يرضى الله .

« واعلم يا بنى ، أن الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن أنت لم تأتته أنك ، ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى إن لك من دنياك ما أصلحت به مشواك . وإن جزعت على ماتفت من يدبك فاجزع على كل ما لم يصل إليك . استدل على ما لم يكن بما قد كان ، فإن الأمور أشباه ، ولا تكونن ممن لاتنفعه العظة إلا إذا بالغت فى إيلامه . فإن العاقل يتعظ بالآداب ، والبهائم لاتتعظ إلا بالضرب ، اطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين ، من ترك القصد جار . والصاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه .

« ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها . فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة . ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها فى أن تشفع بغيرها . وإياك والتغابير فى غير موضع خيرة ، فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم ، والبريئة إلى الريب واجعل لكل إنسان من خدمك عملا تأخذه به ، فإنه أحرى أن لا يتواكلوا فى خدمتك ، وأكرم عشيرتك ، فإنهم جناحك الذى تطير به ، وأصلك الذى إليه تصير ، ويدك التى بها تصول .

دعاء :

استودع الله دينك ودنياك ... وأسأله خير القضاء لك فى العاجلة والآجلة ، والدنيا والآخرة ، والسلام .

وهية على لكميل بن زياد

قال كميل بن زياد : أخذ بيدي أمير المؤمنين على بن أبى طالب - عليه السلام - فأخرجنى إلى « الجبان » وتنفس الصعداء ، ثم قال :

ياكميل بن زياد ؛ إن هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها ، فاحفظ
عنى ما أقول لك :

الناس ثلاثة : فعالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعا
أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم : ولم
يلجأوا إلى ركن وثيق .

ياكميل .. العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ،
والمال تنقصه النفقة . والعلم يزكو على الإنفاق . وصنيع المال يزول
بزواله .

ياكميل بن زياد .. معرفة العلم دين يُدَان به ، به يكسب الإنسان
الطاعة في حياته . وجميل الأهلوة بعد وفاته . والعلم حاكم والمال
محكوم عليه .

ياكميل . هلك خزان الأموال ، وهم أحياء والعلماء باقون مابقي
الدهر : أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة . ها إن ههنا
لعلماً جمماً (وأشار بيده إلى صدره) لو أصبت له حملة ؟ بلى أصبت
لقنا غير مأمون عليه . مستعملا آلة الدين للدنيا ، ومستظهراً بنعم الله
على عباده ، وبحججه على أوليائه ، أو منقاداً لحملة الحق ، لابصيرة له
في أحنائه . ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة ، ألا لا ذا ولا
ذاك ؟ أو منهوماً باللذة ، سلس القياد للشهوة ، أو مغرماً بالجمع والإدخار
ليسا من رعاة الدين في شيء ، أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة !!
كذلك يموت العلم بموت حامله .



الباب الثالث

من وصايا حكماء الجاهلية والاسلام

وصية اكنم بن صيفى الى طيبء

روى أبو الفضل الميداني في مجمع الأمثال أن أكنم بن صيفى كتب إلى

طيبء بوصية ، هي :

« أوصيكم بِتَقْوَى اللَّهِ وَضِلَّةِ الرَّحْمِ . وَإِيَاكُمْ وَنِكَاحِ الْحَمَقَاءِ
فَإِنْ نَكَاحَهَا غُرِرَ (١) ، وولدها ضياع . وعليكم بالخيل فأكرموها .
فإنها حصون العرب ، ولا تضعوا رِقَابَ الْإِبِلِ فِي غَيْرِ حَقِّهَا ، فَإِنْ فِيهَا
ثَمَنُ الْكُرَيْمَةِ (٢) ، وِرْقَوَى (٣) الدَّمِ ، وَبِأَبْنَائِهَا يَتَجَفَّ الْكَبِيرُ ، وَيَغْذَى
الصَّغِيرُ ، وَتُوْ أَنْ الْإِبِلَ كَلَّفْتَ الطَّحْنَ لَطَّحْتَ ، وَلَنْ يَهْلِكَ أَمْرُكَ عَرَفَ
قَدْرَهُ ، وَالْعُدْمُ عُدْمُ الْعَقْلِ لَا عَدَمَ الْمَالِ . وَلِرَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ .
وَمَنْ عَتَبَ عَلَى الدَّهْرِ طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَسَمِ (٤) طَابَتْ
مَعِيشَتُهُ ، وَآفَةُ الرَّأْيِ الْهُوَى . وَالْعَادَةُ أَمْلَكُ (٥) ، وَالْحَاجَةُ مَعَ الْمَحَبَّةِ
خَيْرٌ مِنَ الْبَغْضِ مَعَ الْغَنَى ، وَالدُّنْيَا دُولٌ : فَمَا كَانَ لَكَ أَنْتَاكَ عَلَى ضَمْفِكَ
وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقَوْتِكَ ، وَالْحَسَدُ دَاءٌ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ وَالشَّمَاتَةُ
تُعْقِبُ ، وَمَنْ يَرِ يَوْمًا يُرَبِّهِ ، قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمَلُّ الْكِنَانُ . النَّدَامَةُ مَعَ
السَّفَاهَةِ . دَعَامَةُ الْعَقْلِ الْحَلْمُ ، خَيْرُ الْأُمُورِ مَغْبَةُ الصَّبْرِ . بَقَاءُ الْمُوَدَّةِ

(٢) يريد مهرها .

(١) مخاطرة .

(٣) رقاً الدم : جف وسكن ، والمعنى أنها تعطي في الديات فتحقن الدم .

(٤) القدر .

(٥) في رواية (أملك من الأدب) .

عدل التعاهد (١) ، من يَزُرْ غِيًّا يُزِدَّ حُبًّا ، التفرير مفتاح البؤس ،
 من التواني والعجز نُتِجَتِ المهلكة (٢) ، لكل شيء ضراوة (٣) ، فَصَّرُ
 لسانك بالخير ، عِيُّ الصمت أحسن من عِيِّ المنطق ، الحزم حفظ ما
 كَلَّفَتْ وترك ما كَفَيْت ، كثير النصيح يهجم على كثير الظنَّة .

مَنْ أَلْحَفَ فِي الْمَسْأَلَةِ ثَقُلَ ، من سأل فوق قدره استحق الحرمان ،
 الرفق يُمن ، والخرق شؤم ، خير السخاء ما وافق الحاجة ، خير العفو ما
 كان بعد القدرة .

وصية ذي الإصبع العدواني لابنه (٤)

قال أبو عمرو : ولما احتضر ذو الإصبع دعى ابنه أسيداً فقال له :

« يَا بُنَيَّ ، إن أباك قد فني وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني
 موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغت فاحفظ عني : ألين جانبك
 لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك . ولا
 تستأثر عليهم بشيء يسودوك . وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ،
 يكرمك كبارهم . ويكبر على مودتك صغيرهم ، واسمع بمالك ، واحم
 حريمك . واعزز جارك ، وأعز من استعان بك ، واكرم ضيفك ، واسرع
 إلى النهضة في الصريخ فإن لك أجلاً لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة
 أحد . فبذلك يتم سؤددك . ثم أنشأ يقول :

(١) في استقامة التعاهد والحرص على سلامة الشروط .

(٢) ويروى (نتجت الفاقة) . (٣) تعود .

(٤) كتاب الأغاني : الجزء الثالث .

أَسِيدَ إِنْ مَسَالاً مَلِكاً - تَ فسر به سيراً جميلاً
آخِي الكِرَامِ إِنْ اسْتَطَع - تَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ سَبِيلاً
وَاشْرَبْ بِكَـأَسِهِمْ وَإِنْ - شَرِبُوا بِهِ الِهْمَ الثَّمِيلَا
أَهْنِ اللُّثَامَ وَلَا تَكُنْ - لِإِخْوَانِهِمْ جَمِلاً ذُلُولَا
إِنْ الكِرَامِ إِذَا تَوَا - خِيهِمْ وَجَدْتَ لَهُمْ قَبُولَا
وَدَعِ الَّذِي يَعْدُ العُشْبَ - يِرَةَ أَنْ يَسِيلَ وَلَنْ يَسِيلَا
أَبْنَى إِنْ المَسَالُ لَا - يَبْكِي إِذَا فَقَدَ البَخِيلَا
أَسِيدَ إِنْ أَزْمَعْتَ مَن - بَلَدَ إِلَى بَلَدٍ رَحِيلَا
فَاحْفَظْ وَإِنْ شَحَطَ المَزَا - رَ أَخَا أَخِيكَ أَوْ الزَّمِيلَا
وَارْكَبْ بِنَفْسِكَ إِنْ هَمَمْتَ - بِهَا الحَزُونََةَ وَالسَّهُولَا
وَصَلِّ الكِرَامِ وَكُنْ لِمَنْ - تَرْجُو مودته وَصُولَا
وَدَعِ التَّوَانِي فِي الأُمُورِ - رُوكُنْ لَهَا سَلْماً ذُلُولَا
وَابْطِ يَمِينِكَ بِالنَّيْدِي - وَامددها بَاعاً طَوِيلَا
وَابْطِ يَدَيْكَ بِمَا مَلِكُ - تَ وَشَيْدَ الحَسْبِ الأَثِيلَا
وَاعْزَمْ إِذَا حَاوَلْتَ أَمَ - رَأَ يَفْرَجُ الِهْمَ الدَّخِيلَا
أَبْذُلْ لِضَيْفِكَ ذَاتَ رَحْمَ - لِكَ مَكْرَماً حَتَّى يَزُولَا
وَاحْلَلْ عَلَى الإِبْفَاعِ لِلْعَا - فِينِ وَاجْتَنِبِ المَسِيلَا
وَإِذَا القُرُومُ تَخَاطَرَتْ - يَوماً وَأَرَعَدَتْ الحَضِيلَا
فَاهْصِرْ كَهْصِرِ اللَّيْثِ حَصْ - بَ مِنْ فَرِيْسَتِهِ الثَّمِيلَا
وَانْزِلْ إِلَى الهِجَا إِذَا - أَبْطَلَهَا كَرِهُوا النُّزُولَا
وَإِذَا دَعِيَتْ إِلَى المَهْمِ فَكُ - نَ لِفَسَادِهِ حَمُولَا

وصية أمانة بنت الحارث لابنتها (١)

كان ملك من ملوك اليمن يقال له الحارث بن عمرو الكندي ، بلغه عن ابنة لعوف الكندي جمال وكمال ، وهو الذي يقال له : لا أحد يشبه عوفاً جمالا وكمالا ، فبعث إلى امرأة من قومها ، يقال لها عصام ، فقال : إنه بلغني عن بنت عوف جمال وكمال ، فاذهبي ، فاعلمي لي علمها .

فانطلقت حتى إذا دخلت على أمها ، وهي أمانة بنت الحارث ، فأخبرتها خبر ما جاءت له ، وإذا أمها كأنها خاذل (٢) من الأطباء ، وحوذا بنات لها كأنهن شوادن (٣) الغزلان فأرسلت إلى ابنتها ، فقالت : يا بنية ، إن هذه خالتك أتتكم لتنظر إلى بعض شأنك فأخرجني إليها ، ولا تستري عنها بشيء ، وناطقها فيما استعطفتك فيه . فدخلت عليها ، ثم خرجت من عندها وهي تقول :

« تَرَكْتُ الخِداغَ من كَشَفِ التِّمْناعِ » . فأرسلتها مثلاً .

فلما جاءت إلى الحارث قال : ما وراءك يا عصام ؟

قالت : أيها الملك ، « صرَّحَ المخض عن الزبد » . فأرسلتها مثلاً .
ثم قالت : أقول حقاً ، وأخبرك صدقاً ؛ ثم وصفها وصفاً دقيقاً مفصلاً كأجمل الفتيات حسناً .

فبعث الحارث إلى أبيها يخاطبها فزوجها إياه .

فلما حان أن تحمل إلى بيت زوجها أوصتها أمها فقالت :

« أَى بُنْيَة ، إن الوصية لو تُرِكَتْ لعقل وأدب ، أو مكرمة في حَسَبِ لتركْتْ ذلك منك ، ولزَوَيْتُهُ عنك . ولكن الوصية تذكيرة للعاقل ، ومنبهة للعافيل .

(١) « المعمرون والوصايا »

(٢) الخاذل : الظبية أقامت على ولدها .

(٣) المستغنية عن أمهاتها .

أى بنية : إذ لو استغنت المرأة بِغنى أبيها وشدة حاجتهما إليها
لكنت أغنى الناس عن الزوج ، ولكن للرجال خُلِقَ النساء ، كما لَهُنَّ
خُلِقَ الرجال .

أى بُنيَّة . إنك قد فارقت الجِوَاء الذى منه خرجت . والوكر الذى
منه درجت ، إلى وكر لم تعرفيه . وقربين لم تألّفِيه . فأصبح بملكه
عليك ملكاً . فكوفى له أمةً يكن لك عبداً ، واحفظى عني خلالاً عشراً
تكن لك دَرَكاً وذِكراً ، فأما الأولى والثانية : فال معاشره له بالقناعة ، وحسن
السمع له والطاعة : فإن فى القناعة راحة القلب ، وحسن السمع والطاعة
رأفة الرب .

وأما الثالثة والرابعة : فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشم أنفه
منك إلا طيب الريح . واعلمى ، أى بنية ، أن الماء أطيب الطيب المفقود ،
وأن الكحل أحسن الحسن الموجود .

وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه والهدوء عند منامه ،
فإن حرارة الجوع مَلْهَبَةٌ ، وتنفيس النوم مَغْضَبَةٌ .

وأما السابعة والثامنة : فلاحفاظ بماله ، والرعاية على حشمه (١)
وهياله ، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التبشير ، والرعاية على الحشم
والعيال من حسن التبشير .

وأما التاسعة والعاشره : فلا تفسى له سراً ، ولا تعصى له أمراً ،
فإنك إن أفشيت سرّه لم تأمنى غدره ، وإن عصيت أمره أو غرت صدره .

(١) ذوى القربى .

وَأَتَّقِي الفرح لديه إن كان ترحاً (١) ، والاكتساب عنده إذا كان
فَرِحاً ، فإن الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير .

واعلمي أنك لن تصلى إلى ذلك منه حتى تؤثرى هواه على هواك ،
ورضاه على رضاك ؛ فيما أحببت وكرهت .

والله بخير لك ، ويصنع لك برحمته .

فلما حملت إليه غلبت على أمره ، وحظيت عنده .

كتاب أكنم الى النعمان بن خميسة

روى أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال قال :

كتب النعمان بن خميسة البارقي إلى أكنم بن صبيح « مثل لنا مثالا نأخذ به »

فقال :

« قد حلبت الدهر أشطره فَعَرَفْتُ حُلوه ومُره »

عين عرفت فذرفت (٢) . إن أمأى ما لا أسأى (٣) . رَبُّ سامع

بِخَبْرِي لم يسمع بعذرى . كُلُّ زمان لَمَنْ فِيهِ . في كل يوم ما يُكْرَه .

كل ذى نُصْرَة سَيَخْذَل . تَبَارَوْا فَإِنَّ البرَّ يَنْمِي عليه العدد . كَفُّوا

ألسنتكم ، فإن مقتل الرجل بين فكَّيه . إن قول الحق لم يَدْعُ على صديقاً ،

الصدق منجاة .

(٢) عرفت حقيقة الأمور .

(١) الترح ضد الفرح .

(٣) أبارى .

لا يَنفَعُ مع الجزع التَّبَاقُ ، ولا يَنفَعُ ما هو واقِعُ التَّوقِي . سَتَسَاقُ إلى ما أُنزِلَ لَافِي . في طابِ المَعَالِي يَكُونُ العِنَاءُ (١) . الاقْتِصَادُ في السَّعْيِ أبْنَى للجَمَامِ . (٢) . من لَمْ يَبْأَسْ عَلى ما فَاتَهُ وَدَعَّ بَدَنَهُ ، وَمن قَنَعَ بما هو فِيهِ قَرَّتْ عِيْنُهُ . التَّطَدُّمُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ (٣) . أَصْبَحَ عِنْدَ رَأْسِ الأَمْرِ . أَحَبُّ إلى مَنْ أَنْ أَصْبَحَ عِنْدَ ذَنبِهِ . لَمْ يَهْلِكْ مِنْ مالِكَ ما وَعَظَكَ . وَيَلُ لِعَالِمِ أَمْرٍ مِنْ جَاهِلِهِ ، يَتَشابَهُ الأَمْرُ إِذا أَقْبَلَ ، فَإِذا أَدْبَرَ عَرَفَهُ الكَيْسُ والأَحْمَقُ .

الوَحْشَةُ ذهابُ الأَعْلَامِ (٤) . البَطْرُ عِنْدَ الرِخاءِ حُمَقٌ ، وَالعَجْزُ عِنْدَ البَلَاءِ أَفْنٌ (٥) . لا تَغْضَبُوا مِنَ البِسيرِ فَرَبَّما جَنَى الكَثِيرُ . لا نَجِيبُوا فِيما لَمْ تُسأَلُوا عَنْهُ ، وَلا تَضْحَكُوا ما لا يُضْحِكُ مِنْهُ . حِيلَةٌ مَنْ لا حِيلَةَ لَهُ الصَّبْرُ . كَوْنُوا جَمِيعاً ، فَإِنَّ الجَمْعَ غالِبٌ . تَشَبَّتُوا وَلا تُسارِعُوا فَإِنَّ أَحْزَمَ الفَرِيقَيْنِ الرَكِيبَيْنِ (٦) .

رُبَّ عَجَلَةٍ نَهَبُ رَيْثاً (٧) . اذْرِعُوا اللَّيْلَ (٨) وَاتَّخِذُوهُ جَمَلاً ، فَإِنَّ اللَّيْلَ أَخْفَى لِلوَيْلِ ؛ وَلا جَماعَةَ لِمَنْ اختلفَ . تَناعَوْا في الدِيارِ وَلا تَبْأَغِضُوا ، فَإِنَّهُ مِنْ يَجْتَمِعُ يَتَفَقَعُ (٩) عَمَدُهُ .

(١) في جمهرة الأمثال : يكون العز :

(٢) الراحة والقوة .

(٣) فكر في التقدم قبل أن تندم على العمل .

(٤) سادة القوم والمتفوقون في فنونهم .

(٥) ضعف الرأي والعقل . (٦) الرزين .

(٧) الإبطاء . .

(٨) ادرعوه : أي اتخذوه سترًا ووقاية .

(٩) يضطرب ويتحرك ، والمقصود أن من طبيعة الحياة الافتراق بعد اللقاء ، وأن

من هنا كل كثرة إلى زوال .

أَلْزَمُوا النِّسَاءَ الْمَهَابَةَ (١) . نَعَمْ لَهَوِ الْغُرَّةَ (٢) الْمِغْزَلِ . إِنْ تَعِشْ تَرَّ
مَا لَمْ تَرَهُ . قَدْ أَقْرَأْتُ صَامِتَ (٣) . الْمِكْثَارُ كَحَاطِبِ (٤) لَيْلٍ ، مِنْ أَكْثَرِ
أَسْقَطِ (٥) .

لَا تَجْعَلُوا سِرًّا إِلَى أُمَّةٍ . لَا تُفَرِّقُوا فِي الْقَبَائِلِ فَإِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ مَكَانٍ
مَظْلُومٌ . عَاقِدُوا الثَّرْوَةَ (٦) ، وَإِيَاكُمْ وَالْوَشَائِظَ (٧) ، فَإِنَّ مَعَ الْقِلَّةِ
الذَّلَّةَ . لَوْ سَأَلْتُ الْعَارِيَةَ قَالَتْ : أَبْغِي لِأَهْلِي ذَلًا . الرَّسُولُ مُبَلِّغٌ غَيْرُ مَلُومٍ .
مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ غُصَّ بِالْمَاءِ . أَسَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً (٨) .

الدال على الخير كفاعله . إِنْ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَوْعَافِ الْمَسْكِنَةِ . قَدْ تَجَوَّعَ
الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلْ بِشَدِيدِهَا . لَمْ يَجْرِ سَالِكُ الْقَصْدِ ، وَلَمْ يَغْمَ قَاصِدُ الْحَقِّ .
مَنْ شَدَّدَ نَفْرًا وَمَنْ تَرَخَى تَأَلَّفَ . الشَّرْفُ التَّغَافُلُ . أَوْفَى الْقَوْلِ أَوْجَزُهُ .
أَصُوبُ الْأُمُورِ تَرْكُ الْفُضُولِ . التَّغْرِيرُ مِفْتَاحُ الْبُؤْسِ . التَّوَانِي وَالْعَجْزُ
يَنْتُجَانِ الْمَلَكَةَ . لِكُلِّ شَيْءٍ ضَرَاوَةٌ . أَحْوَجُ النَّاسِ إِلَى الْغِنَى مَنْ لَا يَصْلِحُهُ
إِلَّا الْغِنَى ؛ وَهَمُّ الْمَلُوكِ . حُبُّ الْمَدْحِ رَأْسُ الضِّيَاعِ .

رضا الناس غاية لا تُبْلَغُ . لِأَنَّكَ سَخَطَ مِنْ رِضَاهِ الْجَوْرِ .

مَعَالِجَةُ الْعُفَافِ مَشَقَّةٌ فَتَعَوَّذْ بِالصَّبْرِ . اقْصُرْ لِسَانَكَ عَلَى الْخَيْرِ وَأَخَّرْ
الْغَضَبَ ، فَإِنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ وِرَاثِكَ . مَنْ قَدَرَ أَزْمَعَ . أَمْرٌ أَعْمَالُ الْمُقْتَدِرِينَ

(١) اغرسوا مهابتكم وتوقيركم في قلوبهم . (٢) المرأة الشريفة .

(٣) السكوت رضاء واعتراف .

(٤) الحاطب : جامع الخطب ، وحاطب الليل : الرجل يخلط في كلامه .

(٥) أخطأ . (٦) حالفوا كثرة العدد من الناس .

(٧) جمع وشيظة : أي لا قيمة لهم فهم حشوف قومهم .

(٨) الإجابة .

الانتقام . جَازٍ بِالْحَسَنَةِ وَلَا تَكَافَى بِالسَّيِّئَةِ . أَغْنَى النَّاسَ عَنِ الْحَقْدِ مِنْ عَظَمَ عَنِ الْمَجَازَاةِ . مَنْ حَسَدَ مَنْ دُونَهُ قَلَّ عِذْرُهُ . مَنْ جَعَلَ لِحَسَنِ الظَّنِّ نَصِيباً رَوْحَ عَنِ قَلْبِهِ . عِيٌّ الصَّمْتِ أَحْمَدُ مِنْ عِيِّ الْمَنْطِقِ . النَّاسُ رَجُلَانِ : مُحْتَرِسٌ وَمُحْتَرَسٌ مِنْهُ . كَثِيرُ النَّصْحِ يَهْجُمُ عَلَى كَثِيرِ الظَّنَّةِ . مَنْ أَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ أَبْرَمَ (١) . خَيْرُ السَّخَاءِ مَا وَافَقَ الْحَاجَةَ . الصَّمْتُ يُكْسِبُ الْمَحَبَّةَ ، لَنْ يَغْلِبَ الْكُذْبُ شَيْئاً إِلَّا غَلَبَ عَلَيْهِ الصِّدْقُ . الْقَلْبُ قَدْ يُتَمَهَّمُ وَإِنْ صَدَقَ اللِّسَانُ . الْإِنْقِبَاضُ عَنِ النَّاسِ مَكْسَبَةٌ لِلْعِدَاوَةِ ، وَتَقْرِيْبُهُمْ مَكْسَبَةٌ لِقَرِيْبِ السُّوءِ ، فَكُنْ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ ، فَإِنْ خَيْرَ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا .

فُسُؤْلَةٌ (٢) الْوُزَرَاءُ أَضْرُّ مِنْ بَغْضِ الْأَعْدَاءِ . خَيْرُ الْقُرْبَاءِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَعِنْدَ الْخَوْفِ حُسْنُ الْعَمَلِ . مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ زَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ وَاعْظُ ، وَتَمَكَّنَ مِنْهُ عِدُوهُ عَلَى أَسْوَأِ عَمَلِهِ . لَنْ يَهْلِكَ امْرَأَةٌ حَتَّى يَمَلَّ (٣) النَّاسُ عِتِيدَ فِعْلِهِ ، وَيَشْتَدَّ عَلَى قَوْمِهِ ، وَيُعْجَبَ بِمَا ظَهَرَ مِنْ مَرْوَعَتِهِ ، وَيَغْتَرَّ بِقُوَّتِهِ ، وَالْأَمْرُ يَأْتِيهِ مِنْ فَوْقِهِ . لَيْسَ لِلْمَخْتَالِ فِي حَسَنِ الشَّنَاءِ نَصِيبٌ . لِإِنَّمَاءِ مَعَ الْعَدَمِ ، إِنَّهُ مِنْ أَتَى الْمَكْرُوهَ إِلَى أَحَدٍ بَدَأَ بِنَفْسِهِ . الْعِيُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فَوْقَ مَا تَسُدُّ بِهِ حَاجَتَكَ .

لَا يَنْبَغِي لِعَاقِلٍ أَنْ يَثِقَ بِإِخَاءٍ مِنْ تَضَطَّرَهُ إِلَى إِخَائِهِ حَاجَةً . أَقَلُّ النَّاسِ رَاحَةَ الْحَقُودِ . مَنْ تَعَمَّدَ الذَّنْبَ لَاتَحِلُّ رَحْمَتُهُ دُونَ عَقُوبَةٍ ، فَإِنَّ الْأَدَبَ رِفْقٌ وَالرَّفْقُ يُنَمُّ .

(١) أَصْجَرُ وَأَمَلٌ .

(٢) فَسَلٌ كَكِرْمٍ وَعَلِمَ فُسُؤْلَةٌ فَهُوَ فَسَلٌ كَبْضَخْمٍ : أَي رَذَلٌ لَا مَرْوَعَةَ لَهُ .

(٣) فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى (حَتَّى يَمَلَّكَ) .

الباب الرابع

متفرقات

خطب وعهود ورسائل شبتى

بين معاوية وعمرو بن العاص

قال عمرو بن العاص : رأيت معاوية في بعض أيامنا بصنمين خرج في عدة لم أره خرج في مثلها ، فوقف في قلب عسكره فجعل يلحظ ميمينته فيرى فيها الخلل فيبدر إليه من يسده ، ثم يفعل ذلك بميسرته ، فتغيبه اللحظة عن الإشارة فدخله زهو مما رأى ، فقال :

يا بن العاص ، كيف ترى هؤلاء وما هم عليه ؟ فقلت : والله يا أمير المؤمنين ، لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا ، فما رأيت أحداً تأنى له من طاعة رعيته ما تأنى لك من هؤلاء .

فقال : أفتدري متى يفسد هذا ؟ وفي كم ينتقص جميعه ؟ قلت : لا قال : في يوم واحد . قال : فأكثرت التعجب . فقال : إى والله ، وفي بعض يوم .

قلت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟

قال : إذا كذبوا في الوعد والوعيد ، وأعطوا على الهوى لاعلى الغناء ، فسد جميع ما ترى .

خطبة سعيد بن سويد

خطب سعيد بن سويد بحمص ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إن للإسلام حائطاً منيعاً ، وباباً وثيقاً ، فحائط الإسلام الحق ، وبابه العدل ، ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتد السلطان ، وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ، ولكن قضاة بالحق وأخذاً بالعدل .

عهد أبي عبيدة لأهل دمشق

شمر خالد بن الوليد لفتح دمشق فدخلها من جهته (١) عنوة . فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبدلوا له الصلح ، فقبل منهم ، وفتحوا له الباب فالتقى خالد والقواد في وسطها ثم كتب لهم أبو عبيدة كتاب الصلح وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق وأرضها ، وأرض الشام من الأعاجم ، إنك حين قدمت بلادنا سألناك الأمان على أنفسنا وأهل ملتنا ، وإنا اشترطنا لك على أنفسنا أن لا تحدث في مدينة دمشق ولا فيما حولها كنيسة ولا ديراً ولا قلاية (٢) ولا صومعة راهب ، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ، ولا شيئاً منها مما كان في خطط (٣) المسلمين ، ولا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة وأبناء السبيل ، ولا نؤوى فيها ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكتم على من غش المسلمين ، وعلى أن لا تضرب على نواقيسنا إلا ضرباً خفياً في جوف كنائسنا ولا تظهر الصليب عليها ، ولا ترفع أصواتنا في صلاتنا وقراءتنا في

(١) لما سار المسلمون إلى دمشق نزل خالد بن الوليد على الباب الشرقي ، وعمرو بن العاص على باب توما ، وشرحبيل على باب الفراديس ، وأبو عبيدة على باب الجابية ، ويزيد بن أبي سفيان على باب كيسان .

(٢) من بيوت عبادة النصارى كالصومعة .

(٣) الأراضي التي يخطونها لأنفسهم .

كثائنا ، ولا نخرج صليتنا ولا كتابنا ، ولا نخرج باعوثاً ولا شعانين (١) ، ولا نرفع أصواتنا بموتانا ، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين ، ولا نجاورهم بالخنازير ، ولا نبيع الخمر ، ولا نظهر شركاً في نادى المسلمين ، ولا نرغب مسلماً في ديننا ، ولا ندعوا إليه أحداً ، وعلى أن لا نتخذ شيئاً من الرقيق الذين جرت عليهم سهام المسلمين ، ولا نمنع أحداً من قربتنا إن أرادوا الدخول في الإسلام ، وأن نلزم ديننا حيث كنا ، ولا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ، ولا فرق شعر ، ولا في مراكبهم ، ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نتمسى بأسمائهم ، وأن نجزء مقادم رووسنا ، ونفرق نواصينا ونشد الزنانير (٢) على أوساطنا وأن لا ننقش في خواتمنا بالعربية ، ولا نركب السروج ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نجعله في بيوتنا ، ولا نتقلد السيوف ، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم ، ونرشدهم الطريق ، ونقوم لهم من المجالس إذا أرادوها ، ولا نطلع عليهم في منازلهم ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نشارك أحداً من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة ، وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل من أوسط ما نجد ، ونطعمه فيها ثلاثة أيام ، وعلينا أن لانشم مسلماً ، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده .

ضمناً ذلك على أنفسنا وذرائنا وأرواحنا ومساكتنا ، وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما اشترطنا لك ، وقبلنا الأمان عليه ، فلا ذمة لنا ، وقد

(١) الباعوث عند النصرى مثل الاستسقاء عندنا ، والشعانين عيد لهم قبل عيدهم الكبير بأسبوع .
(٢) ما يشد على وسط النصرى والهجوس ، مفرده : زنار ، كرمان .

حل لك منا ما حلّ من أهل المعاندة والشقاق ، على ذلك أعطينا الأمان
لأنفسنا وأهل ملّتنا ، فأقرونا في بلادكم التي ورثكم الله إياها .
شهد الله على ما شرطنا لكم على أنفسنا وكفى بالله شهيدا .

كتاب أبي حازم الأعرج الى الزهري

عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ، ورحمك من النار ، فقد أصبحت
بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها ، أصبحت شيخاً كبيراً قد
أثقلتك نعم الله عليك ، بما أصح من بدنك ، وأطال من عمرك ، وعلمت
حجج الله تعالى مما حملك من كتابه ، وفقهك فيه من دينه ، وفهمك من
سنة نبيك - صلى الله عليه وسلم - فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك ،
وكل حجة يحتج بها عليك . وقد قال تعالى : (لَسِنُ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ ،
وَلَسِنُ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (١) .

• انظر ... أى رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله - عز وجل -
فسألك عن نعمه عليك كيف رعيته ، وعن حججه عليك كيف قضيتها
ولا تحسبن الله راضياً منك بالترغير ، ولا قابلاً منك التقصير ، هيات
ليس كذلك .

• أخذ على العلماء في كتابه إذ قال : (لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ
فَنَبِّذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) (٢) ... الآية

• إنك تقول إنك جدل ، ماهر عالم ، قد جادلت الناس فجادلتهم ،
وخاصمتهم فخصمتهم ، إدلالاً منك بفهمك ، واقتداراً منك برأيك ، فأين

تذهب من قول الله عز وجل: (مَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١) ... الآية

• اعلم أن أدنى ما ارتكبت ، وأعظم ما احتقبت ، أن آنتست الظالم ، وسهلت له طريق الغنى بدنوك حين أدنيت ، وإجابتك حين دُعيت ، فما أخلقك أن تبوءَ بإثمك غداً مع الجمعة ، وأن تُسئلَ عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة .

• إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك ، ودنوت من لا يردُّ على أحد حقاً ، ولا ترك باطلا حين أدناك ، وأجبت من أراد التَّدليسَ بدُعائه إياك حين دعاك .

• جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك ، وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم ، وسُلماً إلى ضلالتهم ، وداعياً إلى غيِّهم ، سالكاً سبيلهم ، يُدخلون بك الشك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم ، فلم تبلغ أخص وزرائهم ، ولا أقوى أعوانهم لهم ، إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم ، واختلاف الخاصة والعامّة إليهم ، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك ، وما أقل ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك ، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك ، وحاسبها حساب رجل مسؤول .

• وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً ، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس بخيلاً ، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستيراً ، وكيف قربك وبعذك من أمرك أن تكون منه قريباً .

• مالك لا تنتبه من نفسك ، وتستقبل من عشرتك ، فتقول : - والله ما قمت لله مقاماً واحداً أحبي له فيه ديناً ، ولا أميت له فيه باطلاً ، إنما شكرك لمن استحملك كتابه ، واستودعك علمه .

ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم :

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا
الْأَدْنَى) (١)... الآية

• إنك لست في دار مقام ، قد أذنت بالرحيل ، مابقاء المرء بعد
أقرانه ، طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل ، ويابؤس من يموت وتبقى
ذنوبه من بعده .

• إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك ، وليس أحد أهلا أن
تردده على ظهرك . ذهب اللذة وبقيت التبعة ، ما أشقى من سعد بكسبه
غيره ، احذر فقد أتيت ، وتخلص فقد أدهيت ، إنك تعامل من لا يجهل
والذى يحفظ عليك لا يغفل .

• تجهز ، فقد دنا منك سفر ، وداو دينك فقد دخله سقم شديد
ولا تحسبن أنى أردت توبيخك أو تعيرك وتعنيفك ، ولكنى أردت أن
تنبش مافات من رأيك ، وترد عليك ما عذب عنك من حلمك ، وذكرت
قوله تعالى :

(وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (٢).

• أغفلت ذكر من مضى من أسلافك وأقرانك ، وبقيت بعدهم
كقرن أعضب ، فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به ، أو دخلوا في مثل
ما دخلت فيه ، وهل تراه ادخر لك خيراً منعه ، أو علمك علماً جهلوه ،
بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور العامة ، وكلفهم بك أن
صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك ، إن أحللت أحلوا ، وإن حرمت

حرموا ، وليس ذلك عندك ، ولكن إكبابهم عليك ، ورغبتهم فيما في يديك
ذهاب عملهم ، وغلبة الجهل عليك وعليهم ، وطلب حب الرياسة وطلب
الدنيا منك ومنهم .

• أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرّة ، وما الناس فيه من البلاء
والفتنة . ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم ، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم
عليك ، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت ، ويبلغوا منه
مثل الذى بلغت ، فوقعوا بك فى بحر لا يدرك قعره ، وفى بلاء لا يقدر
قدره ، فالله لنا ولك ولهم المستعان .

واعلم أن الجاه جاهان : جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لأوليائه
الخامل ذكرهم ، الخافية شخوصهم ، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَبْرِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَرُوا
وَإِذَا شَهِدُوا لَمْ يُعْرَفُوا ، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ
سَوَاءً مُظْلَمَةً » فهؤلاء أولياء الله الذين قال تعالى فيهم : (أَوْلِيكَ حِزْبُ
اللَّهِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١) .

وجاه يجريه الله تعالى على يدي أعدائه لأوليائه ، ومقة يقذفها الله
فى قلوبهم لهم ، فيعظمهم الناس بتعظيم أولئك لهم ، ويرغب الناس فيما فى
أيديهم لرغبة أولئك فيه إليهم (أَوْلِيكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ
الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (٢) .

• وما أخوفنى أن تكون ممن ينظر لمن عاش مستوراً عليه فى دينه ،

مقتوراً عليه في رزقه ، معزولة عنه البلايا ، مصروفة عنه الفتن في عنقوان شبابه وظهور جلدته ، وكمال شهوته ، فعنى بذلك دهره ، حتى إذا كبر سنه ، ورق عظمه ، وضعفت قوته ، وانقطعت شهوته ولذته ، فتحت عليه الدنيا شر فتوح ، فلزمته تبعثها وعلقتة فتنها ، وأعشت عينيه زهرتها ، وصنعت لغيره منفعتها ، فسبحان الله ما أبين هذا الغيب ، وأخسر هذا الأمر ، فهلا إذا عرضت لك فتنها ذكرت أمير المؤمنين عمر - رضي الله تعالى عنه - في كتابه إلى سعد .. حين خاف عليه مثل الذي وقعت فيه عندما فتح الله على سعد :

• أما بعد ، فاعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أساهم ، لاصقة بطونهم بظهورهم ، ليس بينهم وبين الله حجاب ، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتنوا بها ، رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا . فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ، ورسوخ علمك ، وحضور أجلك ، فمن يلوم الحدث في سنه ، والجاهل في علمه ، والمأفون في رأيه ، المدخول في عقله ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، على من المعول ، وعند من المستعجب .

نحتسب عند الله مصيبتنا . . وما نرى منك ؛ ونحمد الله الذي عافانا بما ابتلاك به . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

صفة الامام العادل للحسن البصرى

كتب عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - لما ولي الخلافة إلى الحسن ابن أبي الحسن البصرى ، أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ، فكتب إليه الحسن رحمه الله :

اعلم يا أمير المؤمنين ؛ أن الله جعل الإمام العادل قِوَامَ كلِّ مائلٍ ،
وقصد كلِّ جائرٍ ، وصلاح كلِّ فاسدٍ . وقوة كلِّ ضعيفٍ ، ونصْفَةَ كلِّ
مظلومٍ ، ومفزع كلِّ ملهوفٍ .

• والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله ، الرفيق
بها ، الذى يرتاد لها أطيب المراعى ؛ وينودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها
من السباع ، ويكنّنها من أذى الحرِّ والقرِّ .

• والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده ، يسمي لم
صفاراً ، ويعلمهم كباراً ، يكسب لم فى حياته ، ويدخّر لم بعد مماته .

• والإمام العادل يا أمير المؤمنين ؛ كالأم الشفيقة البرّة الرقيقة
بولدها ، حملته كرهاً . ووضعته كرهاً ، وربّته طفلاً تسهر بسهره ،
وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة . وتفضّطه أخرى ، وتفرح بعافيته .
وتدختم بشكايته .

• والإمام العدل يا أمير المؤمنين وصيُّ اليتامى . وخازن المساكين ،
يربى صغيرهم ، ويمون كبيرهم .

• والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح ، تصلح الجوارح
بصلاحه ، وتفسد بفساده .

• والإمام العدل يا أمير المؤمنين ؛ هو القائم بين الله وبين عباده ،
يسمع كلام الله ويسمعهم ؛ وينظر إلى الله ويربهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم
فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيده ،
واستحفظه ماله وعياله ، قبّد المال ، وشرد العيال . فأفقر أهله ، وفرق ماله .

• واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث
والفواحش . فكيف إذا أتاها من يليها ! وأن الله أنزل القصاص حياةً

لعباده ، فكيف إذا قَتَلَهُمْ مَنْ يَقْتَصُّ لَمْ ! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقِلَّةَ أشياعك عنده ، وأنصارك عليه ، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر .

• واعلم يا أمير المؤمنين أن لك مَنْزِلاً غير منزلك الذي أنت فيه ، يطول فيه ثَوَاؤُكَ ، ويفارقك أَحِبَاؤُكَ ، يُسَلِّمُونَكَ في قعره فريداً وحيداً ، فتزود له ما يصحبك : (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ) (١) .

• واذكر يا أمير المؤمنين : (إذا بُعِثَ ما في القبور . وحصل ما في الصدور) (٢) فالأسرار ظاهرة ، والكتب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الأجل ، وانقطاع الأمل .

• لاتحکم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين ؛ فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة ، فتبوء بأوزارك ، وأوزار مع أوزارك . وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك . ولا يعزرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك . ولاتنظر إلى قدرتك اليوم ، ولكن انظر إلى قدرتك غداً وأنت مأسور في جبال الموت ، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين ، وقد عنت الوجوه للحي القيوم .

• إني يا أمير المؤمنين .. وإن لم أبلغ بعظمتي ما بلغه أو أوان النهي من قبلي ، فلم آلك شفقة ونصحا . فأنزل كتابي إليك كمداوى حبيبه ، يسقيه الأدوية الكريمة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة .

والسلام عليك يا أير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

موعظة طاووس الى عمر بن عبد العزيز

عن أبي رياح بن عبيدة قال : كتب عمر بن عبدالعزيز إلى طاووس كتاباً يسأله عن بعض ما هو فيه ، فأجابه بعشر كلمات لم يزدده حرفاً ؛ قال : فما رأيت قط كتاباً كان أعجب إليه منه ، كتب إليه .

« سلام عليك يا أمير المؤمنين . فإن الله عز وجل أنزل كتاباً . وأحل فيه حلالاً . وحرم فيه حراماً . وضرب فيه أمثالا . وجعل بعضه محكماً وبعضه متشابهاً . فأحل حلال الله . وحرم حرام الله . وتفكر في أمثال الله . واعمل بمحكمه . وآمن بمتشابهه . والسلام عليك » .

موعظة سالم الى عمر بن عبد العزيز

روى عن الفرات بن سليمان أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب :

« سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد . فإن الله عز وجل ابتلاني بما ابتلاني به من أمر هذه الأمة من غير مشورة مني فيها ولا طلب مني لها إلا قدر من الرحمن قدره علي . فأسأل الذي ابتلاني أن يعينني على ما ولأني من عباده وبلاده . وأن يرزقني فيهم العمل بطاعته . وأن يرزقهم مني الرأفة والرحمة . ويرزقني منهم السمع والطاعة وحسن المؤازرة . فإذا جاءك كتابي هذا فابعث إلى بكتب عمر وسيرته وقضائه في أهل القبلة وأهل الذمة . فإني سائر بسيرته . ومتبع أثره إن الله أعانني على ذلك - إن شاء الله - والسلام » .

فكتب إليه سالم :

« من سالم بن عبد الله ، إلى عمر بن عبد العزيز .

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد .. فإن الله تعالى خلق الدنيا لما أراد ، فجعل لها مدة قصيرة ثم قضى عليها وعلى أهلها بالفناء ، ثم إنك يا عمر قد وليت أمراً عظيماً ، فإن استطعت أن لاتخسر نفسك وأهلك يوم القيامة فافعل ، فإنه كان فيما مضى قبلك رجال أماتوا ما أماتوا من الحق ، وأحيوا ما أحيوا من الباطل حتى وُلِدَ في ذلك رجال ونساء ، وظنوا أنها السنة ، فلا يمنحك من نزع عامل أن تقول لا أجد من يكفيني عمله ، فإنك إن كنت تعمل لله أتاح الله لك أعواناً ، وإنما قُدِّرَ العونُ بِقَدْرِ النية ، وإن استطعت أن تجيء يوم القيامة لا يتبعنك أحد بمظلمة ، ويגיע من قبلك وهم غابطون لك ؛ فافعل فإنهم قد عالجوا نزع الموت ، وعابنوا أهوال المطلع ، وانفقت أعينهم التي كانت لاتنقضي لذتها ، وانشقت بطونهم التي كانوا لا يشبعون فيها ، واندقت رقابهم غير متوسدين بعد تظاهر الفُرُش والمرافق والسُرر والخدم ، وصاروا جيفاً في بطون الأرض تحت آكامها ، وقد كانوا إلى جنب مساكين تأدوا من ريحهم بعد إنفاق مالا يحصى من الطيب ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ما أعظم ما ابتليت به يا عمر . فمن بعثت من عمالك فازجره زجراً شديداً شبيهاً بالعقوبة عن أخذ الأموال وسفك الدماء إلا بحقها . المال المال يا عمر ... الدم الدم يا عمر .

كتبت إلى أن أبعث إليك بكتب عمر وسيرته ، وإن عمر عمل في غير زمانك وبغير رجالك . ووليت في زمن تعلم بعد ما عمل ، وأنا أرجو

إن عملت على النحو الذى عمل به عمر بعد ما بلوت من الظلم أن تكون أفضل من عمر عند الله ، وقل كما قال العبد الصالح : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب) . (١)

آخر خطبة لعمر بن عبد العزيز

عن أبى سليم الهذلى قال : خطب عمر بن عبد العزيز فقال :

« أما بعد ، فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثاً ، ولم يدع شيئاً من أمركم سدى ، وإن لكم معاداً ينزل الله - عز وجل - فيه في الحكم والقضاء بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله ، وحرّم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، واشترى قليلاً بكثير ، وفاتنا بباق ، وخوفاً بأمن ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك ، حتى تُردّ إلى خير الوارثين .

فى كل يوم تودعون أيها الأحياء غادياً ورائحاً إلى الله - عز وجل - قد قبضى نجه ، وانقضى أجله حتى تُغيَّبوه فى صدع الأرض فى بطن صدع ثم تدعوه غير ممهد ولا مؤسد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحياب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، مُرتهناً بعمله ، فقيراً إلى ما قدّم ، غنياً عما ترك ، فاتقوا الله قبل نزول الموت بكم .

وأيم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة ، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب ما أعلم عندى ، وما تبلغنى عن أحد منكم حاجة إلا أحبيت أن أسد

من حاجته ما قدرت عليه . وما يبلغني أن أحداً منكم لا يسعه ما عندي إلا
وددت أنه يمكنني تغييره حتى يستوى عيشنا وعيشه .

وأيم الله لو أردت غير ذلك من النضارة والعيش . لكان اللسان مني
به ذلولاً عالماً بأسبابه . ولكن سبق من الله - عز وجل - كتاب ناطق ،
وسنة عادلة . دلَّ فيها على طاعته . ونهى فيها عن معصيته .

ثم وضع طرف ردهائه على وجهه فبكى وبكى الناس ، وكانت آخر
خطبة خطبها .

خطبة عمر بن عبد العزيز في اختيار صاحب

عن سلام بن سليم قال :

لما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر - وكان أول خطبة خطبها - حمد
الله وأثنى عليه ثم قال :

« يا أيها الناس .. من صحبنا فليصحبنا بخمس . وإلا فلا يقربنا :
يرفع إلينا حاجة من لا يستطيع رفعها . ويعيننا على الخير بجهدنا ، ويدلنا
من الخير على ما لا نهتدي إليه . ولا يفتابن عندنا الرعية . ولا يعترض فيما
لا يعنيه »

فانقشع عنه الشعراء والخطباء ، وثبت الفقهاء والزهاد ، وقالوا : ما
يسعنا أن نفارق هذا الرجل حتى يخالف فعله قوله .

عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عهد طاهر بن الحسين إلى عبد الله ابنه هذا العهد .
تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به
وقرىء عليه ، وقال :

ما أبقي أبو الطيب شيئاً من الدين والدنيا ، والتدبير والرأى ، واصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيعة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة إلا وقد حكمه وأوصى به ، وتقدم فيه . وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال .

ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التي لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية ، آثرنا ذكره على ما فيه من طول ، رغبة منا في ألا يخلو كتابنا من هذا الأثر العظيم القيمة والخطر ، وهذا هو :

يا بني :

« عليك بتقوى الله وحده لا شريك له . وخشيته ومراقبته ، ومزايلة سخطه ، وحفظ رعبتك ، والزم ما ألبسك الله في العافية بالذكر لمعادك ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسؤول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه .

• فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبيضتهم ، والحتمن لدمائهم . والأمن لسبيلهم ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومُواخِذِك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه . ومسائلك عنه . ومُشِيك عليه بما قدمت وأخرت . ففرِّغ لذلك فكرك وعقلك وبصرك ورويتك . ولا يذهلك عنه ذهل . ولا يشغلك عنه شغل ، فإنه رأس أمرك ، وملاك شأنك ، وأول ما يوفقك الله به لرشدك .

• وليكن أول ما تلزم به نفسك . وتنسب إليه فعالك . المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس . والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في إسباغ الوضوء لها . وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك . ولتصدق فيها

لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وادأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ثم اتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمثابرة على خلاتقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه ، من أمره ونهيه ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد .

• وآثر الفقه وأمله ، والدين وحملته ، وكتاب الله والعاملين به ، فإن أفضل ماتزين به المرء الفقه في دين الله ، والطلب له والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به إلى الله ، فإنه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبه مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله عز وجل ، وإجلالا له ، ودركاً للدرجات العلى في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمره ، والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك والثقة بعدلك .

• وعليك بالاعتقاد في الأمور كلها . فليس شيء أبين نفعاً ، ولا أضر أمناً ، ولا أجمع فضلاً من القصد ، والقصد داعية إلى الرشده ، والرشده دليل على التوفيق ، والتوفيق منقاد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاعتقاد ، فآثره في دنياك كلها . ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ومعالم الرشده ، فلا غاية للاستكبار من البر والسعى له ، إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ومرافقة أوليائه في دار كرامته .

• واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العجز ، ويحصن من الذنوب ،
وأنتك لن تحوط نفسك ومن يديك ، ولانستصلح أمورك بأفضل منه ،
فأته . واهتد به تم أمورك ، وتزد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ،
وأحسن الظن بالله عز وجل ، تستقم لك رغبتك ، والتمس الوسيلة إليه في
أمورك كلها ، تستدم به النعمة عليك . ولانتهض أحداً من الناس ، فيما
توليه من عملك ، قبل تكشف أمره بالتهمة . فإن إيقاع التهم بالبرءاء
والظنون السيئة بهم مآثم ، واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك ،
واطرده عنك سوء الظن بهم ، وارفضه عنهم ، يعنك ذلك على اصطناعهم
ورياضتهم ، ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمراً . فإنه إنما يكتفى
بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في سوء الظن ما ينغص عليك لذاذة
عيشك .

• واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة . وتكفي به ما أحببت
كفائته من أمورك . وتدعو به الناس إلى محبتك . والاستقامة في
الأمر كلها لك . ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك . والرافة برعيتك ؛
أن تستعمل المسألة والبحث عن أمورك . والمباشرة لأمر الأولياء والحيطة
للرعية . والنظر فيما يقيمها ويصلحها . بل لتكن المباشرة لأمر الأولياء ،
والحيطة للرعية والنظر في حوائجهم . وحمل مؤوناتهم آثر عندك مما سوى
ذلك . فإنه أقوم للدين . وأحيا للسنة ، وأخلص نيتك في جميع هذا ،
وتفرد بتقويم نفسك . تفرد من يعلم أنه مسؤول عما صنع . ومجزى بما
أحسن . فإن الله جعل الدين حرزاً وعزاً . ورفع من اتبعه وعززه . فاسلك
بمن تسوسه وترعاه نهج الدين . وطريقة الهدى . وأقم حدود الله في أصحاب
الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهانون به ، ولا

تؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فإن في تفريطك في ذلك ، لما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة .

• وجانب الشبه والبدعات ، يسلم لك دينك ، وتقم لك مروءتك ، وإذا عاهدت عهداً فف به ، وإذا وعدت الخير فانجزه ، واقبل الحسنة ، وادفع بها ، واغمض عن عيب كل ذى عيب من رعيتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وابغض أهله ، واقص أهل النيمة ، فإن أول فساد أمرك في عاجل الأمور وآجلها ، تقريب الكذوب ، والجرأة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنيمة خاتمها ، لأن النيمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لمطيعها أمر ، واحب أهل الصدق والصلاح ، واعن الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله ، وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، واطهر من ذلك لرعيتك ، وانعم بالعدل سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التي تنتهى بك إلى سبيل الهدى .

• واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والحلم ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مسلط أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لاشريك له .

• واخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، واعلم أن الملك لله ، يعطيه من يشاء ، ويتزعه من يشاء ، ولن تجد تغير النعمة ، وحلول النعمة ، إلى أحد أسرع منه إلى حملة النعمة ، من أصحاب السلطان ،

والمبسوط لهم في الدولة . إذا كفرُوا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله . ودع عنف شره نفسك . ولتلك ذخائرُك وكنوزك التي تدخر وتكتر البز والتقوى ، والمعدلة واستصلاح الرعية . وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموارهم ، والحفظ لدمائهم . والإغاثة للمهوفهم .

• واعلم أن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تنثر ، وإذا كانت في إصلاح الرعية . وإعطاء حقوقهم . وكف المؤونة عنهم . نمت وربت . وصلاحت به العامة وتزينت به الولاية . وطاب به الزمان . واعتقد فيه العز والمنفعة . فليكن كثر خزائنك تفريق الأموال في عمارة الإسلام وأهله . ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم . وأوف رعيته من ذلك حصصهم .

• وتعهدهما يصلح أمورهم ومعايشهم . فإنك إذا فعلت ذلك قفزت النعمة عليك ، واستوجبت المزيد من الله . وكنت بذلك على جباية خراجك وجمع أموال رعيته وعمالك أقدر . وكان الجميع لما شملهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك . وأطيب نفساً بكل ما أردت . فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب . ولتعظم حستك فيه . فإنما يبقى من المال ما أنفق في سبيل حقه . واعرف للشاكرين شكرهم . وأثبهم عليه . وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة . فتهاون بما يحق عليك . فإن التهاون يوجب التفريط . والتفريط يورث البوار . وليكن عملك لله . وفيه تبارك وتعالى .

• وارج الثواب فإن الله قد أسبع عليك نعمته في الدنيا . وأظهر لديك فضله . فاعتصم بالشكر . وعليه فاعتمد . يزدك الله خيراً وإحساناً فإن الله يشيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين . وقضاء الحق فيما

حمل من النعم ، والبس من العافية والكرامة ، ولا تحتقرن ذنباً ، ولا تمالئن حاسداً ، ولا ترحمين فاجراً ، ولا تصلين كفوراً ، ولا تدهنن عدواً ولا تصدقن نمأماً ، ولا تأمنن غداراً ، ولا توالين فاسقاً ، ولا تتبعين غاوباً ولا تحمدن مرائياً ، ولا تحقرن إنساناً ، ولا تردن سائلاً فقيراً ، ولا تجبين باطلاً ، ولا تلاحظن مضحكاً ، ولا تخلفن وعداً ، ولا تذهبن فخراً ، ولا تظهرن غضباً ، ولا تأتين بذخاً ، ولا تمشين مرحاً ، ولا تركبن سفهاً ، ولا تفرطن في طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عياناً ، ولا تغمض عن الظالم رهبة منه أو مخافة ، ولا تطلبين ثواب الآخرة في الدنيا ، وأكثر مشاوراة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تدخلن في مشورتك أهل الدقة والبخل ، ولا تسمعن لهم قولاً ، فإن ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت في أمر رعيتك من الشح ، واعلم أنك إذا كنت حريصاً ، كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلاً ، فإن رعيتك إنما تنعقد على محبتك بالكف عن أموالهم ، وترك الجور عليهم ، ويدوم صفاء أوليائك لك ، بالإفضال عليهم ، وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه ، وأن العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله عز وجل :

(وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١) .

• فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ بِالْحَقِّ ، وَاجْعَلِ الْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ مِنْ نَيْتِكَ حِظًّا وَنَصِيبًا ، وَأَيِّقِنْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ ، فَأَعِدْهُ لِنَفْسِكَ خَلْقًا ، وَارْضِ بِهِ عَمَلًا وَمَذْهَبًا ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ الْجِنْدِ فِي دَوَاوِينِهِمْ ،

(١) الحشر : ٩ ، التغابن : ١٦ .

ومكاتبتهم ، وادبر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم في معاشهم ، ليذهب بذلك الله فائقهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك ، خلوصاً وانشراحاً ، وحسب ذى سلطان من السعادة أن يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله وحيطته وإنصافه وعنايته ، وشفقته وبره وتوسعته فزاييل مكروه إحدى البليتين ، باستشعار تكلمة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلق - إن شاء الله - نجاحاً وصلاً وفلاحاً .

* واعلم أن القضاء من الله ؛ بالمكان الذى ليس مثله شئ من الأمور لأنه ميزان الله الذى تعادل عليه الأحوال فى الأرض ، وبإقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتؤمن السبل ، ويتنصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدى حق الطاعة . ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجرى السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل فى القضاء .

* واشتد فى أمر الله ، وتوزع عن النطف ، وامض لإقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ويقر جلدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه فى صمتك ، واسدد فى منطقتك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ فى الحجة ، ولا يأخذك فى أحد من رعيته محاباة ولا مجاملة ، ولا لوم لائم ، وتثبت وتأن ، وراقب وانظر وتدبر وتفكر ، واعتبر وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم ، فإن الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكاً لما بغير حقها .

* وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كتباً وغيظاً ، ولأهل

الكفر من معاملتهم ذلاً وصغاراً ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية . والعموم فيه . ولا تدفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، وعن غنى لغناه . ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك . فلا تأخذن منه فوق الاحتمال له . ولا تكلفن أمراً فيه شطط . واحمل الناس كلهم على مر الحق ، فإن ذلك أجمع لألفتهم . وألزم لرضى العامة . واعلم أنك جعلت بولايتك خزاناً وحافظاً وراعياً . وإنما سمي أهل عملك رعيتك . لأنك راعيتهم وقيمتهم . تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم . وتنفقه في قوام أمرهم وصلاحهم . وتقويم أودهم ، فاستعمل عليهم في كور عملك . ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل . والعلم بالسياسة والعفاف . ووسع عليهم في الرزق . فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند إليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل . ولا يصرفنك عنه صارف . فإنك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك . وحسن الأحدثوة في عملك . واستجرت به المحبة من رعيتك . وأعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك . وفشت العمارة بناحيك . وظهر الخصب في كورك ، وكثر خراجك . وتوفرت أموالك . وقويت بذلك على ارتباط جنديك ، وإرضاء العامة بإفاضة العطاء فيهم من نفسك . وكنت محمود السياسة ، مرضى العدل في ذلك عند عدوك . وكنت في أمورك كلها ذا عدل وقوة وآلة وعدة .

• فنافس في هذا . ولا تقدم عليه شيئاً . تحمد مغية أمرك - إن شاء الله - واجعل في كل كورة من عملك أميناً . يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب إليك بسيرتهم وأعمالهم . حتى كأنك مع كل عامل في عمله . معاين لأمره كله . وإن أردت أن تأمره بأمر . فانظر في عواقب ما أردت من ذلك ، فإن

رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه حسن الدفاع ، والنصح والصنع فامضه ، وإلا فتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم ، ثم خذ فيه عدته ، فإنه ربما نظر الرجل في أمر من أمره ، قد واتاه على ما يهوى ، فقواه على ذلك وأعجبه ، وإن لم ينظر في عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك .

• وافرح من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك فإن لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، وإذا أخرت عمله اجتمع عليه أمر يومين . فشغلك ذلك حتى تعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرهم بالنصح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤونتهم ، وأصلح إليهم ، حتى لا يجدوا لخلتهم مساً .

• وافرد نفسك للنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمة إليك ، والمحتر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم . وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداءً بأمير المؤمنين - أعزه الله - في العطف عليهم والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأمرء من بيت المال ، وقدم حَمَلَةَ القرآن منهم ،

والحافظين لأكثره في الجارية على غيرهم ، وانصب لمرضى المسلمين دوراً
تؤويهم . وقواماً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، واسعفهم
بشهواتهم ما لم يؤدِّ ذلك إلى سرف في بيت المال .

• واعلم أن الناس إذا أعطوا حقوقهم . وأفضل أمانهم لم يرضهم ذلك
ولم تطب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولائهم ، طمعاً في نيل الزيادة
وفضل الرفق منهم ، وربما برم المتصفح لأموال الناس . لكثرة ما يرد عليه ،
ويشغل فكره وذهنه ، ومنها ما يناله به مؤونة ومشقة ، وليس من يرغب
في العدل ، ويعرف محاسن أموره في العاجل ، وفضل ثواب الآجل ، كالذى
يستقبل ما يقربه إلى الله . ويلتمس رحمته به .

• وأكثر الإذن للناس عليك . وبرز لهم في المسألة والمنطق ، واعطف
عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس . والتمس
الصنيعة والأجر . غير مكدر ولا منان . فإن العطية على ذلك تجارة مربحة -
إن شاء الله - واعتبر بما ترى من أمور الدنيا وبمن مضى من قبلك ، من أهل
السلطان والرياسة في القرون الخالية والأمم البائدة .

• ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته . والعمل
بشريعته وسنته . وإقامة دينه وكتابه . واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ،
ودعا إلى سخط الله . واعرف ما تجمع عمالك من الأموال ، وينفقون منها ،
ولا تجمع حراماً . ولا تنفق إسرافاً . وأكثر مجالسة العلماء . ومشاورتهم
ومخالطتهم . وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور
ومعاليتها . وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من إذا رأى عيباً فيك ،

لم تمنعه هيبتك من إنهاء ذلك إليك في سرّ ، وإعلامك ما فيك من النقص ،
فإن أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك .

• وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك ، فوقت لكل رجل منهم
في كل يوم وقتاً ، يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته . وما عنده من حوائج
عمالك ، وأمر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك
وبصرك ، وفهمك وعقلك ، وكرر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً
للحزم والحق ، فامضه واستخر الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه
إلى التثبيت فيه والمسألة عنه ، ولا تمن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف
تأتيه إليهم . ولا تقبل من أحد منهم إلا الوفاء والاستقامة ، والعون في
أمر أمير المؤمنين ، ولاتضعن المعروف إلا على ذلك .

• وتفهم كتابي إليك ، وأكثر النظر فيه ، والعمل به ، واستعن بالله
على جميع أمورك واستخره . فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم
سيرتك ، وأفضل رغبتك ما كان لله رضى ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً
وتمكيناً ، وللذمة والدولة عدلاً وصلاحاً .

• وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءك ، وأن
ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك . وكرامته لك ، حتى يجعلك
أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأسأهم ذكراً وأمراً ، وأن يهلك
عدوك . ومن نأواك وبغى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز
الشیطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالعز والقوة والتوفيق ، إنه
قريب مجيب .



نصيحة سفيان بن سعيد لهارون الرشيد

ذكر الامام ابن بليان والغزالي وغيرهما إن الرشيد لما ولي الخلافة زاره العلماء بأسرهم إلا « سفيان بن سعيد » فإنه لم يأته وكان بينه وبينه صحبة فشق عليه ذلك فكتب إليه الرشيد كتابا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله هارون أمير المؤمنين ؛ إلى أخيه في الله سفيان بن سعيد :

• أما بعد يا أخي ؛ فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين ، وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك ، ولم أقطع منها ودك ، وإنني منطوٍ لك على أفضل المحبة ، وأتم الإرادة ، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبواً ، لما أجد لك في قلبي من المحبة ، وإنه لم يبق أحد من إخواني إلا زارني وهنأني بما صرت إليه ، وقد فتحت بيوت الأموال ، وأعطيتهم من المواهب السنية ، ما فرحت به نفسي ، وقرت به عيني ، وقد استبطأتك ، وقد كتبت كتاباً مني إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك ، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومواصلته ، فإذا ورد عليك كتابي هذا فاعجل العجل .

ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقاني وأمره بإيصاله إليه ، وأن يحصى عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به . قال عباد : فانطلقت إلى الكوفة فوجدت سفيان في مسجده ، فلما رآني على بعد قام وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير ، قال : فنزلت عن فرسي بباب المسجد ، فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة ، فدخلت وسلمت فما رفع أحد من جلسائه رأسه إلى ، قال : فبقيت واقفاً وما منهم أحد يعرض على الجلوس ، وقد علتني من هيبتهم الرعدة ، فرميت بالكتاب

إليه ، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه ، فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كفه وأخذه وقلبه بيده ، ورماه إلى من كان خلفه ، وقال : ليقرأه بعضكم فإنى أستغفر الله ان أمس شيئاً مسه ظالم بيده ، قال عباد : فمد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حية تنهشه ثم قرأه فجعل سفيان يتبسم تبسم المتعجب ، فلما فرغ من قراءته ، قال اقبلوه واكتبوا للظالم على ظهره ، فقيل له : يا أبا عبد الله إنه خليفة فلو كتبت إليه في بياض نقي لكان أحسن ، فقال : اكتبوا للظالم في ظهر كتابه . فإن كان اكتسبه من حلال ، فسوف يجزى به ، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ، ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا ، فيفسد علينا ديننا ، فقيل له : ما نكتب إليه ؟ قال : اكتبوا له :

بسم الله الرحمن الرحيم

« مِنَ الْعَبْدِ الْمَيِّتِ سَفِيَانَ إِلَى الْعَبْدِ الْمَغْرُورِ بِالْأَمَالِ هَارُونَ الَّذِي سَلِبَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ . وَلَذَّةَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ .

• أما بعد .. فإننى كتبتُ إليك أعلمك أنى قد صرمتُ جَبَلِكَ ، وقَطَعْتُ وُدَّكَ . وأنتَ قد جعلتني شاهداً بإقرارك على نفسك في كتابك ، بما هجمتَ على بيتِ مالِ المُسلمينَ . فأنفقتَهُ في غيرِ حقِّه . وأنفقتَهُ بِغَيْرِ حُكْمِهِ . ولمَ ترَضَ بما فعلتَ وأنتَ ناءَ عني . حتى كتبتَ إلى تُشهنتُ على نفسك .

• لئأما أنا فإننى قد شهدتُ عليك أنا وإخواني الذين حضروا قِرَاءَةَ كتابِكَ .. وسنودى الشهادةَ غداً بين يدي الله الحكيم العدل . يا هارون ؛ هجمتَ على بيتِ مالِ المُسلمينَ بِغَيْرِ رِضَاهُمْ . هل رضىَ بِفِعْلِكَ أنؤلفهُ قلوبُهُم . والعاملون عليها في أرضِ الله . والمجاهدون في سبيلِ الله وابنِ السبيلِ . أم رضىَ بِذَلِكَ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ وأهل العلمِ يعنى العالمين . أم

رَضِيَ بِفِعْلِكَ الْآيَاتِمَ وَالْأَرَامِلَ ، أَمْ رَضِيَ بِذَلِكَ خَلَقُ مَنْ رَعَيْتَكَ ، فَشَدَّ
 يَاهَارُونَ مِثْرَكَ ، وَأَعَدَّ لِلْمَسْأَلَةِ جَوَاباً ، وَلِلْبَلَاءِ جَلْبَاباً ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ
 سَتَقُفُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكَمِ الْعَدْلِ فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ إِذْ سُلِبَتْ حَلَاوَةُ الْعِلْمِ
 وَالزُّهْدِ وَلَذَّةُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَمُجَالَسَةِ الْأَخْيَارِ ، وَرَضِيتَ لِنَفْسِكَ أَنْ
 تَكُونَ ظَالِماً وَلِلظَّالِمِينَ إِمَاماً (١) .

• يَاهَارُونَ .. قَعَدْتَ عَلَى السَّرِيرِ ، وَلَبَسْتَ الْحَرِيرَ ، وَأَسْبَلْتَ سُنُوراً
 دُونَ بَابِكَ ، وَتَشَبَّهْتَ بِالْحُجْبَةِ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ أَقَعَدْتَ أَجْنَادَكَ الظُّلْمَةَ
 دُونَ بَابِكَ ، وَسَتْرَكَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَلَا يُنْصَفُونَ ، وَيَشْرَبُونَ الْخَمْرَ
 وَيَحْدُونَ الشَّارِبَ ، وَيَزْنُونَ وَيَحْدُونَ الزَّانِيَ ، وَيَسْرِقُونَ وَيَقْطَعُونَ السَّارِقَ ،
 وَيَقْتُلُونَ وَيَقْتُلُونَ الْقَاتِلَ ، أَفَلَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامَ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ
 قَبْلَ أَنْ يَحْكُمُوا بِهَا عَلَى النَّاسِ .

• فَكَيْفَ بِكَ يَا هَارُونَ غَدًا إِذَا نَادَى الْمُنَادِي مِنْ قَبْلِ اللَّهِ احْشُرُوا
 الظُّلْمَةَ وَأَعْوَانَهُمْ ، فَتَقَدَّمَتْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَيَدَاكَ مَغْلُولَتَانِ إِلَى عُنُقِكَ ،
 لَا يَنْفِكُهُمَا إِلَّا عَدْلُكَ وَإِنْصَافُكَ ، وَالظَّالِمُونَ حَوْلَكَ وَأَنْتَ لَهُمْ إِمَامٌ أَوْ
 سَائِقٌ إِلَى النَّارِ .

• وَكَأَنِّي بِكَ يَا هَارُونَ وَقَدْ أَخَذْتَ بِضِيقِ الْخِنَاقِ ، وَوَرَدْتَ الْمَسَاقَ ،
 وَأَنْتَ تَرَى حَسَنَاتِكَ فِي مِيزَانِ غَيْرِكَ ، وَسَيِّئَاتِ غَيْرِكَ فِي مِيزَانِكَ عَلَى سَيِّئَاتِكَ ،
 بَلَاءٌ عَلَى بَلَاءٍ ، وَظُلْمَةٌ فَوْقَ ظُلْمَةٍ ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا هَارُونَ فِي رَعِيَّتِكَ ، وَاحْفَظْ

(١) اضطربت الأخبار في أمر هارون الرشيد ؛ فمنهم من قبل مثل هذه الرواية -
 ومنهم من قال إن هارون كان ملكاً مسلماً شجاعاً ينجح عاماً ويغزو عاماً ، ومعلوم أن مثل
 هارون الحاكم القوي يكثر خصومه من الداخل ومن الخارج .

محمداً - صلى الله عليه وسلم - في أمته ، واعلم أن هذا الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائرٌ إلى غيرك ، وكذلك الدنيا تفعلُ بأهلها واحداً بعد واحد ، فمنهم من تزود زاداً نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وآخرته ، وإياك ثم إياك أن تكتب إلى بعد هذا ، فإني لا أجيئك والسلام .

وأنتي الكتاب منشورا من غير طي ولا ختم فأخذته ، وأقبلت به إلى سوق الكوفة ، وقد وقعت الموعظة بقلبي ، فناديت : يا أهل الكوفة من يشتري رجلا هرب إلى الله ، فأقبوا إلى بالدراهم والدنانير ، فقلت : لا حاجة لي بالمال ، ولكن جبة صوف ، وعباءة قطوانية فأتيت بذلك ، فزعت ما كان على من الثياب التي كنت أجالس بها أمير المزمين ، وأقبلت أقود الفرس الذي كان معي إلى أن أتيت باب الرشيد حافياً راجلاً فهزأ بي من كان على الباب ثم استودن لي ، فلما رأني على تلك الحالة قام وقعد ، وجعل يلطم رأسه ووجهه ، ويدعو بالويل والحرب ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل ، مالي وللدينا ، والملك يزول عنى سريعاً ، فألقيت الكتاب إليه مثل ما دفع إلى ، فأقبل يقرؤه ودموعه تنحدر على وجهه وهو يشق ، فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان ، فلو وجهت إليه فأنتقلته بالحديد ، وضيقت عليه السجن ، فجعلته عبرة لغيره ، فقال هارون :

« اتركووا سفيانَ وشأنه ياعبيد الدنيا ؛ المغرور من غررتموه ، والشقي والله - حقاً من جالستموه ، إن سفيان أمةٌ وحده . »

ولم يزل كتاب سفيان (١) عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويكي ، حتى توفي رحمه الله تعالى .

(١) وهو غير سفيان الثوري الزاهد المعروف والذي لم يدرك هرون الرشيد :

رسالة الامام مالك لهارون الرشيد

كتب الامام مالك بن أنس - رضى الله عنه - بهذه الرسالة الى أمير المؤمنين هرون الرشيد ووزيره يحيى بن خالد البرمكى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإنى كتبتُ إليك بِكِتَابٍ لَمْ أَلِكْ فِيهِ رِشْدًا ، وَلَمْ أُذْخِرْ فِيهِ نُصْحًا ، تَحْمِيدًا لِلَّهِ ، وَأَدْبَابًا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَدْبِرُهُ بِعَقْلِكَ . وَرَدَّدَ فِيهِ بِصُرْكَ ، وَارَعَهُ سَمْعَكَ ، ثُمَّ اعْقَلَهُ بِتَقْلِبِكَ ، وَاحْضِرْهُ فَهْمَكَ ، وَلَا تُغَيِّرَنَّ عَنْهُ ذَهْنَكَ ، فَإِنَّ فِيهِ الْفَضْلَ فِي الدُّنْيَا . وَحَسَنَ ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ ، إِذْ كَرَّ نَفْسَكَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَكُرْبِهِ . وَمَا هُوَ نَازِلٌ بِكَ مِنْهُ . وَمَا أَنْتَ مُوقِفٌ عَلَيْهِ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ الْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ ، ثُمَّ الْحِسَابِ . ثُمَّ الْخُلُودِ بَعْدَ الْحِسَابِ ، وَأَعِدَّ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ مَا يُسَهِّلُ بِهِ عَلَيْكَ أَهْوَالَ تِلْكَ الْمَشَاهِدِ وَكُرْبَهَا . فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَهْلَ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ ، وَشِدَّةِ نَقْمَتِهِ عَلَيْهِمْ . وَسَمِعْتَ زَفِيرَهُمْ فِي النَّارِ وَشَهيقَهُمْ . مَعَ كَلُوحِ وَجُوهِهِمْ ، وَطُولِ غَمِّهِمْ . وَتَقْلِبِهِمْ فِي دِرْكَاتِهَا عَلَى وَجُوهِهِمْ ، لَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَبْصُرُونَ . وَيَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالْتِبُورِ ، وَأَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ حَسْرَةً إِعْرَاضِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُمْ ، وَانْقِطَاعِ رَجَائِهِمْ . وَإِجَابَتِهِ إِيَّاهُمْ بَعْدَ طَوْلِ الْغَمِّ بِتَمَوْلِهِ : (اخْسُؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ) (١) .

لم يتعاطمك شيءٌ من الدنيا إن أردت النجاة من ذلك . ولا أمنتك من هوله ، ولو قلنت في طلب النجاة منه جميع ما ملك أهل الدنيا - كان في

(١) المؤمنون : ١٠٨

معابنتك ذلك صغيراً ، ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلتهم مع قربهم من الله عز وجل ، ونضرة وجوهم ، ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ، والنظر إليه والمكانة منه - لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به صغير ما عند الله ، ولصغر في عينك جسم ما طلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على نفسك حذراً غير تغزير ، وبادر بنفسك قبل أن تسبق إليها ، وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل ، وأنت تتندر بإذن الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها ، قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم لاتقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك لنفسك نصيباً بالليل والنهار ، وصل من النهار اثنتي عشرة ركعة ، واقراً فيهن ما أحببت ، إن شئت صلهن جميعاً ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رُكْعَةً بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » .

وصل من الليل ثمان ركعات بجزء من القرآن ، واعط كل ركعة حقها ، والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلهن مثنى مثنى ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يصلي من الليل ثمان ركعات ، والوتر ثلاث ركعات سوى ذلك يسلم من كل اثنتين ، وصم ثلاثة أيام من كل شهر : الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ » .

من يستحق الصدقة وأقسامهم :

واعط زكاة مالك طيبة بها نفسك حين يحول عليه الحول ، ولا تؤخرها بعد حلها ، وضعها فيمن أمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا في أهل ملك من

المسلمين ، فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَ مِنَ الصَّدَقَةِ بِحُكْمِ نَبِيٍِّّ وَلَا غَيْرِهِ حَتَّىٰ حُدَّهَا هُوَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَجْزَاءٍ . قال عز وجل : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ) (١).

واحتجج حجة الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيباً ، وبلغنى أن قوله تعالى : (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) (٢) غُفْرٌ لَهُ .

مُرِّ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَأَحْبِبْ عَلَيْهَا ، وَإِنَّهُ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى ، وَابْغِضْ عَلَيْهَا . فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَرُّوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْتَهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنَّمَا هَلَاكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَرْكِهِمْ نَهْيَهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَلَمْ يَنْهَهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ » . فَمَرُّوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْتَهُوا عَنِ الْمُنْكَرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ . فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَدِّمُ أَجْلاً . وَلَا يَقْطَعُ رِزْقاً .

رحمة الخدم والنهي عن الكبر :

أَحْسِنِ إِلَى مَنْ خَوَّلَكَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَاشْكُرْ تَفْضِيلَهُ إِيَّاكَ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّيُ فَانصرف ، وَقَالَ : « أَطَلَّتِ السَّمَاءُ ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَشْطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ جِبْهَةٌ مَلَكٌ سَاجِدٌ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ خَوْلٌ فَلْيُحْسِنِ إِلَيْهِ ، وَمَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ » .

الزِّمِ الْأَدَبَ مِنْ وَلِيَّتِ أَمْرِهِ وَأَدَبِهِ ، وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْكَ النَّظَرُ فِي أَمْرِهِ ،

فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال للفضل بن العباس :
« لَا تَرَفَّعَ عَصَاكَ عَن أَهْلِكَ ، وَأَخْفِضْهُم فِي اللَّهِ » .

لا تستسلم إلى الناس واستجبرهم (١) في طاعة الله . لا تغمص الناس ،
واخفض لهم جناحك ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه
قال : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحِ ابْنِهِ . قَالَ : آمُرُكَ بِأَتَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ
عَنْ اثْنَيْنِ . آمُرُكَ بِقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ فِي كِفَّةٍ ،
وَالسَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي كِفَّةٍ وَزَنْتَهَا ، وَلَوْ وَضَعْتَهَا عَلَى حَلْقَةٍ قَصَمْتَهَا ،
وَقُلْ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا عِبَادَةُ الْخَلْقِ ، وَبِهَا تُقَطَّعُ أَرْزَاقُهُمْ ،
فَإِنَّهُمَا يُكْرِرَانِ لِمَنْ قَالَهُمَا الْوُلُوجُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنْهَاكَ عَنِ
الشَّرْكِ وَالْكَبْرِ ، فَإِنَّ اللَّهَ مُجْتَجِبٌ عَنْهُمَا ، فَتَمَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ :
أَمِنَ الْكِبْرَ أَنْ يَكُونَ لِي الدَّابَّةُ النَّجِيَّةُ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : أَمِنَ الْكِبْرَ
أَنْ يَكُونَ لِي التَّوْبُ الْحَسَنُ . قَالَ : لَا ، قَالَ : أَمِنَ الْكِبْرَ أَنْ
يَكُونَ لِي الطَّعَامُ أَجْمَعُ عَلَيْهِ النَّاسُ ؟ قَالَ : لَا . إِنَّمَا الْكِبْرُ أَنْ تَسْفَهَ
الْحَقَّ ، وَتَغْمِصَ الْخَلْقَ ، وَإِيَّاكَ وَالْكَبْرَ وَالزَّهْوَ ، فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ -
لَا يَحِبُّهُمَا ، وَبَلَّغَنِي عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ : « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ الذَّرِّ تَطَوُّهُمُ النَّاسُ بِتَكْبَرِهِمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

خوف الله :

لا تأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله ، فإنه بلغني عن عمر بن
الخطاب - رضى الله عنه - أنه قال : شاور في أمرك الذين يخافون الله ،
احذر بطانة السوء ، وأهل الردى على نفسك ، فإنه بلغني عن النبي -

(١) استجبرهم : أى استخدمهم واستعملهم :

صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا خَلِيفَةٍ إِلَّا وَلَهُ بَطَانَتَانِ : بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَبَطَانَةٌ لَاتَأْلُوهُ خَبَالًا ، وَهُوَ مَعَ النَّبِيِّ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَفَى بَطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وَفَى » .

واستبطن أهل التقوى من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه ، وأرعَ حق جارك ببذل المعروف ، وكف الأذى عنه ، فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » .

وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيْمْسِكْ » .

واتق فضول المنطق ، فإنه بلغنى عن ابن مسعود أنه قال : أنذرکم فضول المنطق . وأكرم من وادك ، وكافئه بمودته ، وإياك والغضب في غير الله ، لاتأمر بخير إلا بدأت بفعله ، ولاتنه عن سوء إلا بدأت بتركه ، دع من الأمر مالا يعينك ، فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْينُهُ » .

صلِّ مَنْ قطعك ، واعف عن ظلمك ، واعط من حرمك ، فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنَّهَا أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » .

اتق كثرة الضحك ، فإنه يدعو إلى السفه ، فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ضحكه كان تبسماً .

المزاج والكبر ومجالسة المتقين :

لاتمزح فتذم نفسك ، فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » .

لاتخالف إلى مانهيت عنه ، وإذا نطقت فأوجز ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « وهل يكب الناس في نار جهنم إلا هَذَا » . يعنى لسانه .

لاتصغر خدك للناس ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إن أهل الجنة كلُّ هيين ليين سهلٍ طلقٍ » .

اترك من أعمال السرِّ ما لا يحسن بك أن تعمله في العلانية . اتق كل شيء تخاف فيه تهمة في دينك ودنياك ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ كَانَ يَوْمًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفُ مَوَاقِفَ التُّهْمِ » .

أقلل طلب الحوائج من الناس ، فإن في ذلك غضاضة . وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لرجل : « لاتَسألُ النَّاسَ . وَلِيَكُنْ مَجْلِسُكَ بَيْتَكَ أَوْ مَسْجِدَكَ » وبلغني عن - النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « المساجدُ بيوتُ المتقين » .

لاتكثر الشخوص من بيتك إلا في أمر لا بد منه . فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « ستَّةُ مَجَالِسٍ أَلْسَلِمَ ضَامِنٌ عَلَى عَلَى اللَّهِ مَا كَانَ فِي تَيْبٍ مِنْهُنَّ : فِي سَبِيلِ اللَّهِ . أَوْ فِي بَيْتِ اللَّهِ ، أَوْ فِي عِيَادَةِ مَرِيضٍ ، أَوْ شُهُودِ جَنَازَةٍ أَوْ جُمُعَةٍ ، أَوْ عِنْدَ إِمَامٍ مُقْسِطٍ يُعْزَرُهُ وَيُوقِرُهُ » .

أحسن خلقتك مع أهلِكَ . ومَنْ اعْتزَلَ بِكَ . فَانْ ذَلِكَ رِضًا لِرَبِّكَ ، وَمَحَبَّةً فِي أَهْلِكَ . وَمَثْرَاءً فِي مَالِكَ ، وَمَنْسَأَةً فِي أَجْلِكَ .

فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك .

أحسن البشر إلى عامة الناس ، واتق شتمهم وغيبتهم فإن الله تعالى قال : (أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ) (١). وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لَاتَشْتُمِ النَّاسَ » .

اتق أهل الفحش ، ومجالسة أهل الردى ، ومحادثة الضعفة من الناس ، فإنه بلغني عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : اعتبر الناس بأخذانهم فإنما يخادن الرجل الرجل مثله .

أكرم اليتيم ، وارحمه ، واعطف عليه ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ كَفَلَ يَتِيمًا لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » . وأشار بأصبعيه فضهما .

اعرف لابن السبيل حقه ، واحفظ وصية الله تعالى فيه ، فإنه بلغني أن أول من ضاف الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام .

أعز المظلوم ، وانصره ما استطعت ، وخذ على يد الظالم ، وادفعه عن ظلمه ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يُشْبِتَ لَهُ حَقَّهُ ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ » .

اتق اتباع الهوى في ترك الحق ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَتَيْنِ : اتِّبَاعَ الْهَوَى ، وَطُولَ الْأَمَلِ » ، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسى الآخرة .

أنصف الناس من نفسك ولا تستطل عليهم ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أَشْرَفُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ : ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَمُؤَامَاةُ الْأَخِ مِنَ الْمَالِ ، وَإِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ » .

اغضض بصرك عن محارم الله ، فإنه بلغني عن علي - كرم الله

وجهه - أنه قال : لاتبع النظرة النظرة ، فإنما لك النظرة الأولى ، وليست لك الأخرى .

اتقِ المطعم الوبيّ ، والمشرب الوبيّ ، والملبس الوبيّ ، فإن ذلك تذهب أنفته (١) ، وتبقى عاقبته ، وإن الله سبحانه أدب رسله ، فقال : « كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً » (٢) . وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَكَلَهُ ، أَطْعَمَهُ اللَّهُ مَكَانَهَا أَكَلَهُ مِنْ نَارٍ ، وَمَنْ سَمِعَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، سَمِعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَبَسَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ ثَوْباً ، أَلْبَسَهُ اللَّهُ مَكَانَهُ ثَوْباً مِنْ نَارٍ » .

اقبل عذر من اعتذر إليك ، وارجع عما كرهت ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَلَمْ يَعْذُرْهُ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ صَاحِبِ مَكْسٍ » .

لتكن يدك العليا على كل من خالطت ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » .

اصحب الأخيار فإنهم يعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغني اصحب الأخيار فإنهم يعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ إِلَّا كَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ » .

صل رحمك وإن قطعك ، ولا تكافئه بمثل ما أتى إليك ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن رجلاً قال له : « إِنَّ لِي أَقْرَبَاءَ ، أَعْفُو وَيَظْلِمُونِي ، وَأَصِلُ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ وَيُسِيئُونَ ، أَفَأَكْفِيهِمْ ؟ »

(١) أنف الشيء وأنفته : ابتداءه وأوله . (٢) المؤمنون : ٥١

فقال صلى الله عليه وسلم : « إِذَنْ تُتْرَكُوا جَمِيعاً ، وَلَكِنْ إِذَا أَسَاءُوا فَأَحْسِنُ . فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ اللَّهِ ظَهِيرٌ » .

ارحم المسكين المضطر . والغريب المحتاج . وأعنه على ما استطعت من أمره . فإنه بلغني عن ابن عباس أنه قال : « كل معروف صدقة » .

ارحم السائل . وارده من بابك بفضل معروفك : بالبذل منك ، أو قول معروف تقوله له : فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « رُدَّ عَنْكَ مَذْمَمَةُ السَّائِلِ بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّيْرِ مِنَ الطَّعَامِ » .

فعل المعروف :

لا تزهد في المعروف عند من تعرفه ، وعند من لا تعرفه ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لا تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ وَلَوْ أَنَّ تَصَبَّ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَقِي » .

أرِدْ بِكُلِّ مَا يَكُونُ مِنْكَ مِنْ خَيْرٍ إِلَى أَحَدِ اللَّهِ . فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن قوله عز وجل : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ) (١) ... الآية . قال : المنافق الذي إن صلى رأى ، وإن فاتته لم يبلغ إليها (ويمنعون الماعون) (٢) قال : الماعون : الزكاة التي فرَضَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

إياك والرياء . فإنه بلغني أنه لا يصعد عمل المرأى إلى الله عز وجل . ولا يزيكبه عنده . إن استطعت أن تعمل بعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل . فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

(٢) الماعون : ٧

(١) الماعون : ٤ ، ٥

أنه قال : « نَضَرَ اللهُ امرءاً سَمِعَ مَقَالَتى فَوَعَاها حَتى يُبَلِّغَها غَيْرَهُ ،
فَرُبَّ غَائِبٍ أَحْفَظَ مِنْ شَاهِدٍ ، وَرُبُّ حَامِلٍ فِقْهٍ غَيْرُ فِقْهِيهِ . »

لا يغفل قلب امرئ مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ،
والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم
تحيط من ورائهم .

إياك وسوء الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصى الله تعالى ، وقد بلغنى
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقاً . »

اخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه
وسلم : « أَنْ مَلَكاً آتَاهُ فَقَالَ : إِنَّ رَبَّكَ يُقَرِّتُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ : إِنْ
شِئْتَ أَجْعَلُكَ مَلَكاً نَبِيًّا أَوْ عَبْدًا نَبِيًّا . فَأَشَارَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنْ تَوَاضَعَ ، فَمَا أَكَلَّ مُتَكَبِّراً حَتَّى ماتَ . »
الظلم :

لا تظلم الناس فيديلمهم الله عليك ، فإنه بلغنى عن بعض العلماء
من الصحابة أنه قال : ما ظلمت أحداً أشد على ظلاماً من أحد لا يستعين
على إلا بالله تعالى .

احذر البغى فإنه عاجل العقوبة ، بلغنى عن النبي - صلى الله عليه
وسلم - أنه قال : « إِنَّ أَعْجَلَ الْخَيْرِ ثَوَاباً صَلَوةُ الرَّحْمِ ، وَإِنَّ أَعْجَلَ
الشَّرِّ عُقُوبَةُ الْيَمِينِ الْعَمُوسُ تَتْرُكُ الدِّيَارَ بِلَاوِيعَ . »

الحلف بغير الله :

لا تحلف بغير الله في شيء ، فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه
وسلم - أنه قال : « لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، نِيحْلِفُ بِاللهِ أَوْ

لَيْسَكُنَّ . ولا تحلف بالله في كل شيء فإنه بلغني أن ذلك قوله تعالى :
(ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) (١) .

ارحم الناس يرحمك الله . بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
أنه قال : « مَنْ لَا يَرْحَمَ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ » .

أحب طاعة الله يُحبك الله ، ويُحبُّكَ إلى خلقه ، قال عز وجل
لنبيّه : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٢) . وقال عليه
الصلاة والسلام : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي السُّجُودِ » . وقال بعض
العلماء : ما أسرَّ عبد قط سريرة خير إلا ألبسه الله رداءها ، ولا أسرَّ
سريرة شر قط إلا ألبسه الله رداءها .

وليكن عليك السكينة والوقار في منطلقك ومجلسك ومركبك ،
فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال - والناس
يزحفون حوله - : « عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ » .

أعط دابتك إذا ركبها حظها من الأرض . وحظها من المقصد
عليها ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِذَا رَكَبْتُمْ
هَذِهِ الدَّوَابَّ الْعُجْمَ فَاعْطُوا حَظَّهَا مِنَ الْأَرْضِ » .

عليك بالحلم والإغضاء عما كرهت ، ولا تتبع ذلك من أحد بلغك
عنه أذى ، ولا تكافئه فإن في ذلك الفضل في الدنيا والآخرة ، بلغني
عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْحَلِيمَ -
الْحَيَّ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ » .

ادفع السبَّة بالتى هى أحسن ، بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « أَيُّهَا السُّلَمِيُّ اتَّقِ الْعُقُوقَ وَقَطِيعَةَ الرَّحْمِ . فَإِنْ فِي ذَلِكَ شَيْئاً فِي الدُّنْيَا وَتَبَاعُداً فِي الْآخِرَةِ » .

وبلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « اشْتَكَّتِ الرَّحْمَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّنْ يَقْطَعُهَا ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهَا : أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ ، وَأَقْطَعَ مِنْ قَطْعِكَ » .

كظم الغيظ :

إذا غضبت من شيء من أمر الله فاذا ذكر ثواب الله على كظم الغيظ ، قال عز وجل : (وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) (١) الآية .

وبلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَا أَمْتَلَأَ رَجُلٌ غَيْظاً فَكَظَّمَهُ اللَّهُ إِلَّا مَلَأَهُ اللَّهُ رِضْوَاناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

إذا وعدت موعداً في طاعة الله فلا تخلفه ، وإذا قلت قولاً فيه رضا الله فأوف به ودم عليه ، بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ تَكَفَّلَ بِسِتٍّ أَتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ : إِذَا حَدَّثَ لَمْ يَكْذِبْ ، وَإِذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ ، وَإِذَا اتَّخَذَ لَمْ يَخُنْ ، وَغَضَّ بَصَرَهُ ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ ، وَكَفَّ يَدَهُ » .

نذر المعصية :

إذا حلفت على يمين إيمانية من طاعة الله فلا تهمن بها وكفرها ، فإنه بلغنى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لَا تَنْذِرْ فِي مَعْصِيَةٍ »

(١) آل عمران : ١٣٤ .

الله وكفارتها كفارة يمين والنذر يمين . وإذا حلفت على يمينٍ ثم رأيت غيرها خيراً منها فاتّ الذی هو خيراً وكفّر عن يمينك . فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك .

إياك والتزييد في القول ، وأن تقول قولاً وأنت تعلم أنه لم يكن ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « ثلاثة لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ ، الإمامُ الكذابُ ، والعائِلُ المزهُوُّ ، والشَيْخُ الزَّانِي » .

بر الوالدين :

برّ والديك وخصّهما منك بالدعاء في كل صلاة ، وأكثر لهما الاستغفار ، وابدأ بنفسك قبلهما ، فإن إبراهيم - عليه السلام - قال (رَبُّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) (١). فبدأ بنفسه قبل والديه . وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي عُمُرِهِ ، وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللهُ رَبَّهُ ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » .

اشكر الناس ما أتوا إليك من خيرهم ، وكافتهم إن قدرت عليه ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهُ » .

إذا ركبت دابة فوضعت رجلك في الركاب ، فقل : بسم الله ، وإذا استويت راكباً فقل : (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ

(١) نوح : ٢٨

مُقرنين» (١) الآية . فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة .

آداب الأكل :

إذا أكلت وشربت فاذكر اسم الله ، فإن نسيت في أول حالك فاذكره إذا ذكرت ، بلغني عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : تذكر اسم الله حين تذكر ، فإنه يحول بين الخبيث ، وبين أن يأكل معك ويتقيأ ما أكل ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ، وإذا أكلت ومعك آخر فكل مما يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ولا من بين يدي أحد ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لرجل يفعله : « اذكر اسم الله ، وكل مما يليك » وكل بيمينك ولا تأكل بشمالك ، ولا تشرب بشمالك . وبلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إنها إكله الشيطان » لاتسافر ما استطعت إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس لايسافر إلا فيه .

إذا أصابك كرب فقل : يا حيُّ يا قيوم برحمتك أستغيث ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول ذلك عند الكرب .
الحذر من النميمة :

احترس ممن يقرب إليك بالنميمة ، ويبلغ الكلام عن الناس . بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « ملعون من لعن أباه » .

مَلْعُونٌ مَنْ لَعَنَ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تَحْوِمَ الْأَرْضِ ، مَلْعُونٌ كُلُّ صَقَّارٍ ،
وهو النمام .

لا تَجْرَ ثِيَابِكَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ذَلِكَ ، وَبَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ جَرَّ ثِيَابَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

أَطَعِ اللَّهَ فِي مَعْصِيَةِ النَّاسِ ، وَلَا تَطْعِ النَّاسَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، بَلَّغْنِي عَنِ
النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « لَأَطَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ
الْخَالِقِ » .

إِذَا أَصَابَكَ حُزْنٌ أَوْ سَقَمٌ أَوْ ذَلَّةٌ أَوْ لَأْوَاءٌ - يَعْنِي الْجُوعَ - فَقُلْ :
اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا : ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِذَلِكَ مِنْ أَصَابِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ .

الصبر على المصائب :

اصبر على ما أصابك من فجاجع الدنيا وأحزانها لقول الله تعالى :
(إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (١) . والصبر من الإيمان بمنزلة
الرأس من الجسد .

لَا تَمَارِينَّ أَحَدًا وَإِنْ كُنْتَ مُحَقًّا ، بَلَّغْنِي أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :
(فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (٢) أَنَّهُ الْمِرَاءُ .

إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ فِي عَاقِبَتِهِ ، بَلَّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فَفَكِّرْ
فِي عَاقِبَتِهِ ، فَإِنْ كَانَ رُشْدًا فَاْمُضِهِ ، وَإِنْ كَانَ غِيًّا فَانْتِهِ عَنْهُ »

إِيَّاكَ والتجريد خالياً، فإنه ينبغي لك أن تستحي من الله إذا خلوت ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لأحِبُّ أَنْ يَلِيَ لِي شَيْئاً مَنْ لَا يَسْتَحِي مِنْ اللَّهِ فِي الْخَلَاءِ » . وإيَّاكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَمَامَ وَالْمَاءَ إِلَّا بِإِزَارٍ ، وَلَا يَدْخُلُ مَعَكَ أَحَدُ الْحَمَامِ إِلَّا بِإِزَارٍ وَلَنْ تَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ ، فَغَضِّ طَرْفَكَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ كَانَ مَكْشُوفاً ، بَلِّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَحِلُّ لِمَرْءٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَدْخُلَ الْحَمَامَ إِلَّا بِإِزَارٍ » .

أَفْشِرِ السَّلَامَ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَسْبِقَكَ أَحَدٌ إِلَيْهِ فَافْعَلْ ، تَعَطَّ بِذَلِكَ فَضْلاً عَنِ النَّاسِ ، وَبَلِّغْنِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ، وَضَعَهُ فِيكُمْ فَافْشَوْهُ فِيكُمْ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَلَّمَ كَتَبَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ .

تأديب الأولاد :

أَدِّبْ وَلَدَكَ ، وَمَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ عَلَى خُلُقِكَ وَأَدَبِكَ ، حَتَّى يَتَأَدَّبُوا عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، فَيَكُونُوا لَكَ عَوْناً عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . بَلِّغْنِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ : كُلُّ مُؤَدَّبٍ يَحِبُّ أَنْ يُؤْخَذَ بِأَدَبِهِ ، وَإِنْ أَدَبَ اللَّهُ هُوَ الْقُرْآنُ .

وَإِذَا اسْتَشَارَكَ أَحَدٌ فَإِنْ شِئْتَ تَكَلَّمْتَ ، وَإِنْ شِئْتَ سَكَتَ ، وَاجْتَهِدْ رَأْيَكَ فَإِنَّهُ بَلِّغْنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « الْمُسْتَشَارُ بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ تَكَلَّمَ وَإِنْ شَاءَ سَكَتَ » .

لاتفش على أحد سراً أفشاه إليك ، فإنما هي أمانة استودعكها ،
 واثمّنك عليها إلا أن يكون إفشاؤه خيراً له في دنياه وآخرته ، فافشها
 عليه وانصحه فيها ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
 « مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ أَنْ يَنْصَحَهُ » .

إذا تعلمت علماً من طاعة الله فليُرَ عليك أثره ، وليُرَ فيك سِمته ،
 وتعلّم للذي تعلمه ، وتعلّم له السكينة والحلم والوقار ، بلغني عن النبي -
 صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ » .

ردّ جواب الكتاب إلى كل أحد كتب إليك ، فإنما هو كرد السلام
 قال عز وجل : (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) (١) . وقال
 ابن عباس - رضي الله عنه - :

أَرَى رَجَعَ الْكِتَابَ عَلَى حَقًّا كَمَا أَنِّي أَرَى رَجَعَ السَّلَامَ

أزّم الحياء فإنه خلُق الإسلام ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم :
 « لِكُلِّ شَيْءٍ خُلُقٌ ، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ » .

إذا سافرت فقل : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ
 الْمُنْقَلَبِ ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ ، وَسَوْءِ الْمُنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ
 الْكُورِ » . بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول ذلك
 إذا سافر .

إياك وظلم الضعيف ، ومن لا يستعين عليك إلا بالله ، لقول النبي -
 صلى الله عليه وسلم - : « ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الْإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَالصَّائِمُ

حَتَّى يُفْطِرَ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تَصْعَدُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهَا :
وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لِأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

دعاء السفر :

إذا ودَّعْتَ مُسَافِرًا فَقُلْ : « زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى ، وَغَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ ،
وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ
عَمَلِكَ » . لِأَنَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِهَا .

إذا حضرت أمراً ليس لله بطاعة ، ولا تقدر على أن تدفعه ، فقم
عنه ولا تقعد . لقول النبي - عليه الصلاة والسلام - « لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ
مَخَافَةَ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا شَهِدَهُ أَوْ عَلِمَهُ » .

آداب عامة :

الزم السواك فإنه سنة ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه
قال : « السَّوَّكُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ » .

افش الصدقة فإنها تدفع ميتة السوء ، وليكن ذلك من أطيب مالك ،
فإن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب ، بلغني عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه
قال : « إِنْ أَحَدُكُمْ لِيَتَصَدَّقُ بِالتَّمْرَةِ إِذَا كَانَتْ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ
إِلَّا الطَّيِّبَ فَيَجْعَلُهَا فِي كِفَّةٍ ، فَيُرَبِّبُهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّبُ أَحَدُكُمْ فُلُوهُ أَوْ
فَصِيلُهُ ، حَتَّى تَكُونَ فِي يَدِهِ مِثْلَ الْجِبَلِ » .

إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا ، فليكن مفرعك فيها إلى الله -
عز وجل - حين تنزل بك ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه

قال : « لَنْ يَنْزَلَ بِعَبْدٍ قَطُّ أَمْرٌ كَانَ مَفْرَعُهُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ » .

لاتضطجع على بطنك إذا نمت ، ولا في غير نومك ، لما بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِنَّهَا لَصِجَعَةٌ يُبْغِضُهَا اللَّهُ » .

أوف بالعهد إذا أعطيته من نفسك لكل أحد ، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أَحَقُّ مَا وَفَّى بِهِ عَهْدُ اللَّهِ » .

إذا حضرت السلطان فاشفع بخير ، وإياك والكلام عنده إلا بما يرضى الله ، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ يُكْتَبُ لَهُ بِهَا سُخْطُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يُكْتَبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

أرد ما أردت به الله ما استطعت ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « صَدَقَةَ السَّرِّ تُظْفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ » .

اتق كثرة التزكية لنفسك ، أو ترضى بها من أحد يقولها لك في وجهك ، بلغني أن رجلا امتدح رجلا عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « وَيَحْكُكَ قَطَعْتَ عَنْقَهُ . وَلَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ أَبَدًا » .

إياك ومدح الناس والثناء عليهم في وجوههم ، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « احْتُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَاحِينَ » .

طَهَّرْ ثِيَابَكَ وَنَقِّمْهَا مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى :
(وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ) (١) ؛ يَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَلْبَسَهَا عَلَى عَذْرَةٍ .

وَكَرِهَ لِكُلِّ أَحَدٍ مَا تَكْرَهُهُ لِنَفْسِكَ ، بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ بَايَعَ جَرِيرًا الْبَجَلِيَّ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَالنَّصِيحَةَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .
إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ وَالشَّرَّهَ فَهَمَا خُلِقَانِ مُرْدِيَانِ لِصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ ، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمَا : « لَأَحْسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٍ
آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَسَلَّطَهُ عَلَى إِنْفَاقِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ
يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا » .

اقتد في أمورك برأى ذوى الإنصاف من أهل التقوى ، بَلَّغَنِي عَنِ
النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « خِيَارُكُمْ شِبَّانُكُمْ الْمُتَشَبِّهُونَ
بِشُيُوخِكُمْ ، وَشِرَارُكُمْ شُيُوخُكُمْ الْمُتَشَبِّهُونَ بِشِبَّانِكُمْ » .
لَا تَحْتَكِرْ أَحَدًا ، وَلَا تَجَالِسْ مَأْفُونًا ، فَإِنَّ الْوَحْدَةَ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ
السُّوءِ .

عَلَيْكَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَكَرِيمِهَا ، وَاتَّقِ رِذَائِلَهَا وَمَا سَفَسَفَ مِنْهَا ، بَلَّغَنِي
عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ
وَيَكْرَهُ سَفَسَافَهَا » .

إِذَا رَأَيْتَ مِنْ قُضِّلَتْ عَلَيْهِ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ ، فَأَكْثِرْ حَمْدًا لِلَّهِ عَلَيْهِ ،
فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الشُّكْرِ ، بَلَّغَنِي عَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنَّهُ قَالَ : « مَا

(١) المدثر : ٤

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ
تِلْكَ النِّعْمَةِ وَإِنْ عَظُمَتْ .

لا تركب الميثرة الحمراء ، ولا تلبس المعصفر ، فقد نبى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - عن ذلك .

إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعداً فاضطجع ، لقول
النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لَا تَتَطَيَّرَنَّ مِنْ شَيْءٍ تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُهُ ،
وَإِذَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ فَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْخَيْرِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ
السُّوءَ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » . فقد علمت أن النبي -
صلى الله عليه وسلم - كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئاً .

لا تتوضأ بشيء مما تأكل من الطعام ، ولا تدلك به في الحمام ،
فإن ذلك من الجفاء .

لا تتخلقن بالخلق إلا أن يكون في أثر النورة ليذهب ريحها ، فقد
بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي
بُرْدَتَيْنِ لَهُ مَتَخَلِقٌ يَتَبَخَّرُ فِيهِمَا ، إِذْ سَاخَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ
فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

لا تغيرن أظفارك بالحناء ولا يديك إذا دخلت الحمام ، فإنه ليس
من سياء أهل الفضل .

ولا تحلف بالطلاق ولا بالعتاق ، فإنها من أيمان النفاق . بلغني
عن عمر - رضى الله عنه - أنه قال : أَرْبَعُ جَائِزَةٍ إِذَا تَكَلَّمَ بِهِنَّ : الطَّلَاقُ
وَالْعِتَاقُ وَالنِّكَاحُ وَالنَّذْرُ ، وَأَرْبَعَةٌ يُمَسُّونَ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ سَاخِطٌ ، وَيَصْبِحُونَ

والله عليهم غضبان : المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتى بهيمة ، أو عمِلَ عمل قوم لوط .

لاتتطيين بشيء من الطيب يظهر أُوْنُهُ ، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « طِيبُ الرَّجَالِ مَابَطْنُ لَوْنُهُ وَظَهَرَ رِيحُهُ ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَبَطْنُ رِيحُهُ » .

الزم الرأى الحسن ، والهدى الحسن ، والاقتصاد ، بلغنى عن ابن عباس - رضى الله عنه - أنه قال : الرأىُ الحسن جزءٌ من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة .

إن استطعت أن لاتدع العمامة والبرد في العيدين والجمعة فافعل . لما علمت من أمر النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه كان يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَزَّ الْإِسْلَامَ بِالْعَمَائِمِ وَالْأَلْوِيَةِ » .

إذا طلاك أحد بالنورة ، فبلغ المراق^(١) فلايل ذلك منك إلا نفسك ، ومن يحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغنى عن بعض العلماء أنه كان يلى ذلك من نفسه .

لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلى ، لقول ابن عباس - وقد سُئِلَ عن الجنب يغتسل في الحمام - إن الماء لايجنب ، وإذا تنخمت في المسجد فادفنه ، فعن بعض العلماء أنه قال : هي خطيئة ، وكفارتها دفنها .

(١) المرق : مارق من البطن ولان .

دعاء النوم :

إذا نمت فقل عند منامك : « اللَّهُمَّ أَنْتَ الْقَائِمُ الدَّائِمُ لَا تَزُولُ ، خَلَقْتَ كُلَّ شَيْءٍ لِأَشْرِيكَ لَكَ ، عَلِمْتَ كُلَّ شَيْءٍ بِغَيْرِ تَعْلِيمٍ ، اغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ » .

بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : أَلَا قُلْتُمْ كَمَا قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَهُوَ الَّذِي قَالَ مَا تَقَدَّمَ .

آداب قضاء الحاجة :

إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستدبرها ، ولا تستنج بيمينك ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - « أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ أَصْحَابَهُ أَنْ لَا يَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ ، وَلَا يَسْتَنْجُوا بِأَيْمَانِهِمْ ، وَلَا يَسْتَنْجُوا بِعَظْمٍ وَلَا رَوْثٍ » .

إذا انصرفت من الصلاة ، فقل : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ . وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ مَا عَادَ مِنْهُ عِبَادُكَ الصَّالِحُونَ ، اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

بلغني عن ابن مسعود أنه قال : مادعا نبي مرسل ولا عبد صالح بشيء حسن إلا هو فيه ، يعني في هذا الدعاء .

لا تشتم عبداً لك ولا أمةً بزنى فإنه ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ قَذَفَ أُمَّةً أَوْ حُرَّةً أَوْ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصْرَانِيَّةً فَلَمْ يَضْرِبْ فِي الدُّنْيَا ضَرْبَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً » .

من أدب السفر واللقاء :

إذا كنت مسافراً أو مقيماً ، فامسح - إن شئت - على خُفِّكَ إن كنت مسافراً ثلاثة أيام ولياليهن ، وإن كنت مقيماً فيوماً وليلة ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال ذلك ، وقاله عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب ، وابن عباس رضوان الله عليهم .

إذا صافحك أحد فلا تنزع يدك عن يده ، حتى يكون هو الذى ينزع يده عن يدك ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - : أنه لم يصافح أحداً فتنزع يده حتى يكون هو الذى ينزع يده .

إذا أقبل عليك رجل بوجهه يحدثك ، فلا تصرف وجهك عنه ، حتى يكون هو الذى يصرف وجهه عنك ، وإذا جلست إلى جنب رجل ، أو جلست إلى جنبك رجل ، فلا تقوم من بين يديه ، ولا تتجاوزن ركبته ركبته ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم تتجاوز ركبته ركبته جليس له . وإذا أحسست من أمير ظلامه أو تغطرساً فقل : « الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر أعزُّ من خلقه جميعاً ، الله أكبر مما أخاف وأحذر ، وأعوذُ بالله المُمسِكِ السَّمَاءِ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ مِنْ شَرِّ فُلَانٍ ، اللَّهُمَّ كُنْ لِي جَاراً مِنْ فُلَانٍ وَجُنُودِهِ ، أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطْفِنِي ، جَلَّ جَلَالُكَ ، وَعَزَّ جَارُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » . تقول ذلك ثلاث مرات .

بلغني عن ابن عباس أنه قال ذلك وأمرنا به .

وإذا كتبت إلى أحد من غير أهل الإسلام ، فلانكتبن سلام الله

عليك ، ولكن اكتب السَّلامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، بلغني عن النبي -
صلى الله عليه وسلم - أنه كتب ذلك إلى مُسَيْلِمَةَ .

إِذَا عَطَسْتَ فِي الْخَلَاءِ ، فَادْكُرْ اسْمَ اللَّهِ خَفِيًّا . لاتدهن في مُدْهَنٍ
ذهب ولا فضة ، ولا تستجمر في مجامر الذهب والفضة ، بلغني عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى عن الشرب في إِنَاءِ الذهب والفضة .

لاتنم على الحرير والديباج فإنه لبسة النساء ، بلغني عن النبي -
صلى الله عليه وسلم - أنه نهى عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء .

إِذَا رَأَيْتَ أَمْرًا فِي أَهْلِكَ وَخَاصَّتِكَ مِمَّا يَنْبَغِي تَغْيِيرَهُ ، فَلَا تَحَابِّينَ
منهم أحداً ، وقم فيه بالذي يحق عليك ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه
وسلم أنه قال : « انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » .

إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ - عز وجل - فلا تحبسه إن استطعت
فوقاً حتى تمضيه ، فإنك لا تأمن الأحداث ، وإذا هممت بأمر غير
ذلك ، فإن استطعت أن لاتمضيه فوقاً فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك
تركه .

لاتستحي إذا دُعيت لأمر ليس بحق أن تقول : لا . فإن الله تعالى
يقول : (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) (١) .

إِذَا سَمِعْتَ الْمُؤَذِّنَ يُؤَذِّنُ ، فَقُلْ كَمَا يَقُولُ ، لِإِلَّا أَنْتَ تَقُولُ إِذَا قَالَ :
حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ : لاحول ولا قوة إلا بالله ، بلغني
ذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم .

(١) الأحزاب : ٥٣

لا تخلون بامرأة ليست لك بمحرم ، بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما خلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان .

إذا قال الإمام آمين ، فقل : آمين ، فإنه ينبغي إذا فرغ من أم القرآن أن يقول آمين ، ويقول من خلفه سرا ولا يجهر به ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « إِذَا آمَنَ الْإِمَامُ فَأَمَّنُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُوْمِنُ لِتَأْمِينَ الْإِمَامِ ، فَمَنْ وَاَفَقَ مِنْكُمْ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشيء حتى تغسل فرجك بالماء ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لأهل مسجد قباء : إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيكُمْ : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ) (١) فَأَنْبِئُونِي مَا هَذَا التَّطَهِيرُ الَّذِي ذُكِرْتُمْ بِهِ فَانْتَبِهُوا عَلَيْهِ ، قَالُوا : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَأْمِنًا امْرَأَةً وَلَا رَجُلٌ يَأْتِي الْخَلَاءَ فَيَبْدَأُ بِشَيْءٍ دُونَ غَسْلِ فَرْجِهِ بِالْمَاءِ .

إذا أكلت طعاماً فَعَلِقَ بَيْنَ أَصَابِعِكَ فَالْعَقْهَا ، وَأَسْنَانِكَ فَتَخَلَّلْ ، فإنه بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ أَنْ يَرَى فِي الرَّجُلِ طَعَامًا وَهُوَ يُصَلِّي » .

إذا نزلت منزلاً فقل : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « مَنْ نَزَلَ مِنْزِلًا فَقَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، وَقِيَ شَرَّ مَنْزِلِهِ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ » .

لا تأكل شيئاً من ثمن طعام لا يحل لك أكله ، ولا شيئاً من ثمن شراب لا يحل لك شربه . قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الخمر : « إِنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ ثَمَنَهَا » .

ولا تداو بشيء لا يحل لك أكله ولا شربه ، ولا تبعه ، ولا تشتريه ، ولا تطعمه ، ولا تطعمه أحداً ، ولا تسقيه ولا تداو به أحداً صغيراً ، ولا كبيراً ، ولا بهيمة ، ولا غيرها . بلغني عن بعض علماء الصحابة أنه نعتَ لبعير له خمر فقال : لا والله لا أوجره خمرأ .

لا تأكل لحم شيء من السباع ، ولا إذا مخلب من الطير ، بلغني أن النبي - صلى الله عليه وسلم - : « نَهَى عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ » . إذا فزعتَ في منامك فقل : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ ، وَمِنْ شَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ » .

بلغني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إذا فزعَ أحدُكم في منامه فليقل ذلك .

إذا قلت لأحد : أقسمت عليك لتفعلن ، فلم يفعل الذي أقسمت عليه أن يفعله ، وجب عليك الحنث ، وكفر عن يمينك ، وكذلك إن قلت له : أحلف عليك أو أشهد عليك لتفعلن فلم يفعل ، وجب عليك الحنث ، وكذلك إذا كنتَ وقتاً له وقتاً معلوماً فتركه حتى جاوز الوقت .

لا تبدأ أحداً من غير أهل الإسلام بالسلام ، لكن لو سلم هو فقل : وعليكم ، بلغني أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر بذلك .

لا بأس أن تأكل جنباً - وإن كنت لم تتوضأ - إذا غسلت يديك .

لا تنقل لأحد صلى الله عليك ، بلغني عن ابن عباس رضى الله عنهما
إنه قال : لا تنبغى الصلاة من أحد لأحد إلا للنبى عليه السلام .

ولا تنقل لأحد جعلنى الله فداءك ، قال الزبير ذلك للنبى - عليه
الصلاة والسلام - وهو مريض ، فقال له - عليه السلام : « ماتركت
اعرابيتك بعد » وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : لا يفد أحد أحداً .

لابأس بمصافحة الجنب ومباشرته ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال :
أربعة ليس عليهم جناية : الأسنان والماء والثوب والأرض .

لابأس بمصافحة اليهودى والنصرانى والصلاة فى بيوتهم .

لا تبلغ بشيء من أدبك إذا أدبت ، وعاقبت أحداً على جرم اجترمه
أربعين سوطاً . قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ بَلَغَ حَدًّا فِي غَيْرِ حَدِّ فَهُوَ
مِنَ الْمُعْتَدِينَ » .

إذا أحببت أحداً لله فأعلمه ، ففى ذلك أن رجلاً قال للنبى - صلى
الله عليه وسلم - : « إني أحب فلاناً لله ، قال : أما أخبرته ؟ قال : لا ،
قال : فأخبره ، فلما أخبره قال : أحبك الله الذى أحببتنى له » .

لا تشفع فيمن وجب عليه حد من حدود الله إذا انتهى إلى الإمام
ولا تحل دونه ، ولا بأس أن تشفع قبل ذلك ، قال ذلك بعض علماء
الصحابة ، وتشفع فى سارق فقيل له : أتشفع فيه وأنت من الصحابة ؟
قال : لا بأس به قبل أن يبلغ الإمام ، فإذا بلغه فلا عفا الله عنه إن هو
عفا عنه .

الزُّمِ الصِّمْتِ ، قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لَا يَسْتَكْمِلُ الرَّجُلُ الْإِيمَانَ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ » . وَإِذَا أَتَيْتَ قَرْيَةً أَوْ بَلَدًا فَقُلْ : « اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَيْرَهَا ، وَاصْرِفْ عَنَّا وَبَاءَهَا » كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ ذَلِكَ إِذَا دَنَا مِنْ قَرْيَةٍ .

إِذَا عَطَسْتَ فَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَقُلْ : غُفِرَ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ . وَإِنْ عَطَسَ عِنْدَكَ مُسْلِمٌ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، فَقُلْ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، كَانَ عَلِيٌّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُهَا لِمَنْ عَطَسَ ، وَيَقُولُ ذَلِكَ : يَهْدِيكَ اللَّهُ وَيُصَلِّحُ بِالْكُفْرِ ، وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ لِمَنْ عَطَسَ : يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ ، وَيَقُولُ ذَلِكَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ ، وَلَا تَشْمَتُهُ حَتَّى يَحْمَدَ اللَّهُ ، قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ إِذَا عَطَسَ أَنْ يُشَمَّتَ إِذَا حَمَدَ اللَّهَ » .

وَقُرَّ الْكَبِيرُ وَارْحَمِ الصَّغِيرَ ، قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا » .

لَا تَصَافِحْ امْرَأَةً لَيْسَتْ لَكَ بِزَوْجَةٍ وَلَا مَلِكٌ يَمِينٌ ، وَلَا تَضَعْ يَدَهَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِكَ ، وَلَا تَضَعْ يَدَكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهَا ، وَلَا تَقْبَلْ يَدَكَ وَلَا شَيْئًا مِنْ جَسَدِكَ ، وَلَا تَعَانِقْ رِجْلًا ، وَلَا تَقْبَلْ لَيْسَ بِيَدِي رَحِمَ لَكَ ، وَاصْنَعْ ذَلِكَ بِيَدِي رَحِمَكَ ، فَقَدْ ضَمَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَعْفَرَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْحَبَشَةِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ .

لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ ، وَلَا تَشْهَرْ فِيهِ سِلَاحًا ، فَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْهُ .

إذا دعيت إلى تحمل شهادة فإنك مخير ، فإن شهدت فلا يسمعك الامتناع إذا دعيت إلى الأداء .

لَا تَمُنُّ عَلَى أَحَدٍ بِإِحْسَانِكَ ، فَإِنَّهُ يَبْطِلُ أَجْرَكَ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ :
(لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) (١).

مكافأة المعروف :

ومن أولئك معروفاً ، وعجزت عن مكافأته ، فاثن عليه واذكره به ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « مَنْ أَوْلَى مَعْرُوفًا فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَكَافَأَتِهِ إِلَّا بِالثَّنَاءِ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

إذا طعمت وعندك أحد فادعه ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :
« إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا .
قِيلَ : لِمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ ، وَطَيَّبَ
الْكَلَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » .

إذا عملت عملاً لله فأحسنه لقوله تعالى : (لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنَ
عَمَلًا) (٢).

لا تعجل على أحد بعقوبة ، ولا تنتهمه حتى تحقه .

لَاتَأْتِ أَهْلَكَ أَوْ جَارِيَتَكَ وَغَيْرَهَا بِرَاكٍ أَوْ يَسْمَعُ حِسْكَ . قَالَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالُوا : كَيْفَ نَسْتَحْيِي مِنَ
اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ؟ قَالَ : احْفَظُوا الرُّؤْسَ وَمَا حَوَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى ،
وَاذْكُرُوا الْمَوْتَ وَالْبَلَاءَ ، وَذَرُّوا زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » .

(٢) هود : ٧ ، الملك : ٢

(١) البقرة : ٢٦٤

إذا أصبحت فقل : « اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحَدَّكَ لِاشْرِيكَ لَكَ ،
لَكَ الْمُلْكُ وَلَكَ الْحَمْدُ لِاشْرِيكَ لَكَ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ . قال النبي عليه
الصلاة والسلام مَنْ قَالَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ حِينَ يُصْبِحُ وَكُلَّ يَوْمٍ مَلَكَانِ
يَحْرُسَانِهِ حَتَّى يُمْسِيَ ، وَإِذَا قَالَهَا لَيْلاً فَكَذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ » .

إذا كنت في العيدين والجمعة ، ويوم عرفة بعرفة فاغتسل ، وإن
توضأت أجزاءك . سأل رجل علياً عن الغسل فقال : للجمعة والعيدين
وعرفة .

إذا رأيت الهلال فلا تستقبله حتى تدعو ، وقل : اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ
أَكْبَرُ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الشَّهْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ
الْقَدَرِ ، وَشَرِّ يَوْمِ الْمَحْشَرِ .

لَا تَوَمَّنْ أَحَدًا فِي بَيْتِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَكَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ
بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَوْمَنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ
فِي بَيْتِهِ وَلَا فِي سُلْطَانِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ » .

ولا تحب من الناس أن يمثّلوا لك قياماً ، لقوله صلى الله عليه
وسلم : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمَثَلَ لَهُ ابْنُ آدَمَ قِيَامًا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ » .

إجابة الدعوة :

أجب الدعوة إذا دُعيت ، قال صلى الله عليه وسلم : « الدَّعْوَةُ يَوْمَ
الْعُرْسِ حَقٌّ » وقال : « لَوْ دُعِيتُ إِلَى كِرَاعٍ لَأَجَبْتُ » .

إذا حلفت على شيء ، وحلف والداك أو أحدهما على خلافه فاطعهما
ما لم يكن مَعْصِيَةً .

احتجم في سبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين ، أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك .

.. إذا عدت مريضاً فأخِفَّ العِيَادَةَ ، وأقَلَّ اللَّبِثَ .

إذا مررت بالمقابر فقل : السلام عليكم أهل الدار المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية .

تشيع الجنائزة :

لابأس أن تمشي أمام الجنائزة ، مشى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وأبو بكر ، وعمر ، وابن عمر أمامها ، وإذا كنت راكباً فلا تسبقها ولا تنزل ، حتى توضع عن عواتق الرجال ، بلغني ذلك عن بعض الصحابة .

لاتنفخ في الطعام والشراب ، فإنه جفاء ، قاله بعض العلماء .

ارفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة ، والعيدين ، والقنوت ، والتكبير ، وعند استلام الحجر ، وعرفة ، وجمع ، والصفاء ، والمروة ، والجمار ، روى ذلك عن ابن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتى تحاذي إبهامك أذنك ، وتبسطهما عند صدرك في باقى ذلك .

لا تلعب بالنرد ، لعن النبي - صلى الله عليه وسلم - اللاعب به وقال : « إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُ » .

لاتمضغ العلك ، ولاتخلل إزارك ، ولاتجرّد ولاتحذف ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لِنَهَا مِنْ أَخْلَاقِ قَوْمِ لُوطٍ » .

اجمع الصَّوَامَ عند فطرك على طعامك . قال صلى الله عليه وسلم :
« مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ »

واعلم - رحمك الله - أن الله تعالى خصك من موعظتي بما نصحتك ،
وأنبئت إليك منه ، ما أرجو أن يكون سعادة لك ، وسبباً إلى الجنة ،
فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى ، وأتباع ما هو
أهله ماترجو به القرية عند الله تعالى ، ولا يكن ذلك مما تظلف (١) عنه
نفسك ، وتعاهدتها بالأخذ والتأديب عليه - إن شاء الله - حتى توقفها
على الذي لا ينبغي لك التقصير بها عنه - إن شاء الله تعالى -

والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده (٢)

الحمد لله الذى لا يروعه الحمام المرقوب ، إذا سيم نجمه المثقوب ،
ولا يبغته الأجل المكتوب ، ولا يبغته الفراق المعتوب ، ملهم الهدى
الذى تطمئن به القلوب ، وموضح السبيل المطلوب ، وجاعل النصيحة
الصريحة من قسم الوجوب ، لاسيما للولى المحبوب ، والولد المنسوب ،
القائل فى الكتاب المعجز الأسلوب : (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ) (٣)
و (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ ..) (٤) والصلاة والسلام على سيدنا
ومولانا محمد رسول الله ، أكرم من زرت على نوره جيوب الغيوب ،
وأشرف من خلعت عليه حلال المهابة والعصمة ، فلا تقتحمه العيون ،

(١) تظلف عنه نفسك : - أى تكفها عنه . (٢) نفع الطيب ج ٤ ص ٤١٩ ٤٢٦

(٤) البقرة : ١٣٢

(٣) البقرة : ١٣٣

ولانصمه العيوب ، والرضا عن آله وأصحابه المشابرين على لسان
الاستقامة بالهوى المغلوب ، والأمل المسلوب ، والافتداء الموصل المرغوب ،
والعز والأمن من اللغوب .

• وبعد ، فإنى لما علانى المشيب بِقَمَّتِهِ ، وقادنى الكبر بِرُمَّتِهِ ،
وادكرت الشَّباب بعد أمته ، أسفت لما أضعت ، وندمت بعد العظام
على ما رضعت ، وتأكَّد وجوب نصحى لمن لزمنى وَعَيْهِ ، وتعلق بعينى
سعيه ، وأمَلْتُ أن تتعدى إلى ثمره استقامته ، وأنا رهين فوات ، وفى
برزخ أموات ، ويأمن العثور فى الطريق التى اقتضت عشارى إن سلك ،
وعسى أن لا يكون ذلك على آثارى ، فقلت أخطب الثلاثة الولد ،
وثمرات الخلد ، بعد الضراعة إلى الله تعالى فى توفيقهم ، وإيضاح
طريقهم ، وجمع تفريقهم ، وأن يَمَنَّ عَلَىَّ منهم بحسن الخلف ، والتلافى
من قبل التلف ، وأن يرزق خلفهم التمسك بهدى السلف ، فهو ولى
ذلك ، والهادى إلى خير المسالك .

• اعلموا هداكم الله تعالى .. الذى بأنواره تهتدى الضلال ، وبرضاه
ترفع الأغلال ، وبالتماس قربه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأخلفت
الآمال ، وتبرأت من يمينها الشمال ، أننى مُودَّعكم وإن سألنى الردى ،
ومفارقكم وإن طال المدى ، وماعدا مما بدا ، فكيف وأدوات السفر تُجمع
ومنادى الرحيل يُسمع ، ولا أقلَّ للحبيب المودَّع من وصية محتضر ،
وعجالة مقتصر ، ورتيمة (١) تعقد فى خنصر ، ونصيحة تكون نشيدة
واع مُبصر ، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدى ، وتوضح لكم من

(١) خيط يربط فى الاصبع للتذكير بشئ معين .

الشفقة والحنو قصدى ، حسباً تَضَمَّنَ وعد الله من قبل وعدى ، فهى
أَرَبُّكُمْ الذى لا يَتَغَيَّرُ وقفه ، ولا يَنَالُكُمْ المكروه مارَفٌ عليكم سقفه ؛
وَكَأَنِّي بشبابكم قد شاخ ، وبراحلكم قد أناخ ، وبنشاطكم قد كسل ،
واستبدل الصاب من العسل ، ونُصُول الشيب تروغ بأَسْلِ (١) ، لابل
السام (٢) من كل حذب نسل ، والمعاد للحد ولا تسل .

• فبالأُمس كنتم فراخ حجر ، واليوم أبناء عسكر مجر ، وغداً
شيوخ مضيفة وهجر ، والقبور شاغرة ، والنفوس عن المألوفات صاغرة ،
والدنيا بأهلها ساخرة ، والأولى تعقبها الآخرة ، والحازم من لم يُتَعَظْ به
فى أمر ، وقال بيدى لا بيد عمرو ، فاقتنوها من وصية ، ومَرَامٍ فى النصيح
قَصِيَّة ، وخصَّوها بأولادكم إذا عقلوا ، ليجدوا زادها إذا انتقلوا .

• وحسبى وحسبكم الله الذى لم يخلق الخلق هملاً ، ولكن ليلوهم
أيهم أحسن عملاً ، ولا رضى الدنيا منزلاً ، ولا لطف بمن أصبح عن فثة
الخير منزلاً ، ولتُلَقِّنُوا تلقيناً ، وتعلموا علماً يقيناً ، أنكم لن تجدوا
بعد أن أنفرد بذنبي ، ويفترش التراب جنبي ، ويسح انسكابي ، وتهرول
عن المصلى ركابي ، أحرص منى على سعادة إليكم تُجَلِّبُ ، أو غاية كمال
بسببكم ترتاد وتطأب ، حتى لا يكون فى الدين والدنيا أورف منكم ظلاً ،
ولا أشرف محلاً ، ولا أغبط نهلاً وعلاً ، وأقل ما يوجب ذلك عليكم أن
تصيحوا إلى قولى الآذان ، وتستلمحوا صبح نصحى وَقَدْ بان ، وسأعيد
عليكم وصية لقمان :

• أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (وَإِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ :
يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (١) . (يَابْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ
بِالمَعْرُوفِ وَإِنهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ
وَلَا تُصَعِّرْ خَدَكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرْحًا ، إِنَّ اللَّهَ لايُحِبُّ كُلَّ
مُخْتَالٍ فَخُورٍ . واقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ، إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ
لَصَوْتُ الحَمِيرِ) (١) .

• وَأَعِيدُ وصِيَةَ خَلِيلِ اللَّهِ ورسوله ، حَكَمَ مَا تَضَمَّنَهُ محَكَمَ تَنْزِيلِهِ :
(يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) (٣) .

والدين الذي اصطفاه ، وأكمله ووفاه ، وقرره مُصطفاه ، من قبل
أن يتوفاه ، إذا أُعْمِلَ فِيهِ انقياد ، فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مقرر
ومستمد من عقل أو نقل محرر ، والعقل متقدم ، وبنائه مع رفض
أخيه متهدم ، فالله واحد أحد ، فرد صمد ، ليس له والد ولا ولد ، تنزه
عن الزمان والمكان ، وسبق وجوده وجود الأَكوان ، خالق الخلق وما
يعلمون ، الذي لا يُسأل عن شيء وهم يُسألون ، الحي العليم المدبر القدير ،
ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ، أرسل الرسل رحمة ، لتدعو
الناس إلى النجاة من الشقاء ، وتوجه الحجة في مصيرهم إلى دار البقاء ،
مؤيدة بالمعجزات التي لا تتصف أنوارها بالاختفاء ، ولا يجوز على
تواترها دعوى الانتفاء ، ثم ختم ديوانهم بِنَبِيِّ مَلَّتْنَا المرعية الهمل ،
الشاهدة على الملل ، فتلخصت الطاعة ، وتعينت الإمرة المطاعة ، ولم يبق

بعده إلا ارتقاب الساعة ، ثم إن الله تعالى قبضه إذ كان بشراً ، وترك دينه يضم من الأمة نشرأ ، فمن تبعه لحق به ، ومن تركه نوّط عنه في منسبه ، وكانت نجاته على قدر سببه .

• رُوِيَ عَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنَّهُ قَالَ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضَلُّوا بَعْدِي ، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي ، فَعَضُّوا عَلَيْهِمَا بِالنَّوْاجِذِ » .

• فاعملوا يابني بوصية من ناصح جاهد ، ومشفق شفقة والد ، واستشعروا حبه الذي توفرت دواعيه ، وعُوا مرآشد هديه ؛ فَيَا فَوْزَ واعيهِ ، وَصِلُّوا السَّبَبَ بِسَبَبِهِ ، وَآمَنُوا بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ، مَجْمَلًا أَوْ مَفْصَلًا عَلَى حَسَبِهِ ، وَأَوْجِبُوا التَّجَلَّةَ لِصَحْبِهِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِصَحْبَتِهِ ، وَاجْعَلُوا مَحَبَّتَكُمْ إِيَّاهُمْ مِنْ تَوَابِعِ مَحَبَّتِهِ ، وَاشْمَلُوهُمْ بِالتَّوْقِيرِ ، وَفَضِّلُوا مِنْهُمْ أَوْلَى الْفَضْلِ الشَّهِيرِ ، وَتَبَرَّوْا مِنَ الْعَصْبِيَّةِ الَّتِي لَمْ يَدْعُكُمْ إِلَيْهَا دَاعٍ ، وَلَا تَعِ الشَّجَرِ بَيْنَهُمْ أُذُنَ وَاغٍ فَهُوَ عِنْوَانُ السَّدَادِ ، وَعَلَامَةُ سَلَامَةِ الْإِعْتِقَادِ ، ثُمَّ اسْتَحْبِبُوا فَضْلَ تَعْظِيمِهِمْ عَلَى فَهَاءِ الْمَلَّةِ ، وَأَثْمَتِهَا الْجَلَّةِ ، فَهَمْ صَقَلَّةٌ نَصُولُهُمْ ، وَفُرُوعٌ نَاشِئَةٌ مِنْ أُصُولِهِمْ ، وَوَرَثَتُهُمْ وَوَرِثَةٌ رَسُولِهِمْ .

• واعلموا أنني قطعت في البحث زماني ، وجعلت النظر شأني ، منذ براني الله تعالى وأنشأني ، مع نبل يعترف به الشاني ، وإدراك يسلمه العقل الإنساني ، فلم أجد خابط ورق ، ولا مصيب عرق ، ولا نازع خطام ، ولا متكلف فطام ، ولا مقتحم بحر طام ، إلا وغايته التي يقصدها قد

نضلتها الشريعة وسبققتها ، وفرعت ثنيتها وارتقتها ، فعليكم بالتمزام
 جادتها السابلة ، ومصاحبة رفقتها الكاملة ، والاهتداء بأقمارها غير
 الآفلة ، والله تعالى يقول - وهو أصدق القائلين - : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
 الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١) .

• وقد علت شرائعه ، وراع الشكوك رائعه ، فلا تستنزلكم الدنيا
 عن الدين ، وأبدلوا دونه النفوس فعل المهتمدين ، فلن ينفع متاع بعد
 الخلود في النار أبد الآبدين ، ولا يضر مفقود مع الفوز بالسعادة ، والله
 أصدق الواعدين ، ومتاع الحياة الدنيا أخس ماورث الأولاد عن الوالدين ،
 اللهم قد بلغت فأنت خير الشاهدين ، فاحذروا المعاطب التي توجب في
 الشقاء الخلود ، وتستدعي شوة الوجود ، ونضج الجلود ، واستعينوا
 برضا الله من سخطه ، واربؤوا بنفوسكم عن غمطه ، وارفعوا آمالكم عن
 القنوع بغرور قد خدع أسلافكم ، ولا تحمدوا على جيفة الأمل الزائل
 ائتلافكم ، واقتنعوا منه بما تيسر ، ولاتأسوا على ما فات وتعدّر ، فإنما هي
 دجنة ينسخها الصباح ، وصفقة يتعاقبها الخسار أو الرياح ، ودونكم
 عقيدة الإيمان فشدّوا بالنواجذ عليها ، وكفكفوا (٢) الشبه أن تدنوا
 إليها .

• واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خرق لا يرفؤه عمل ، وكل
 ماسوى الراعى همل ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أمل ، وتمسكوا

(٢) كفكفوا : امنوا .

(١) آل عمران : ٨٥

بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة، واجعلوا حمله على حمل التكليف علاوة، وتفكروا في آياته ومعانيه، وامتثلوا أوامره ونواهيه، ولا تتأولوه ولا تغلوا فيه، وأشربوا قلوبكم حب من أنزل على قلبه، وأكثروا من بواعث حبه، وصونوا شعائر الله صون المحترم، واحفظوا القواعد التي يبنى عليها الإسلام حتى لا ينخرم.

الله في الصلاة ذريعة التجلة، وخاصة الملة، وحاقنة الدم، وغنى المستأجر المستخدم، وأم العباد، وحافضة اسم المراقبة لعالم الغيب والشهادة، والناهية عن الفحشاء والمنكر، وإن عرض الشيطان عرضهما، ووطأ للنفس الأمارة سماءهما وأرضهما، والوسيلة إلى بل الجوائح بترود الذكر، وإيصال تحفة الله إلى مريض الفكر، والشاهدة للعبد برفع الملامة، وغاسول الطبع إذا طبع (١)، والخير الذي كل ماسواه له تبع، فاصبروا النفس على وظائفها بين بدء وإعادة، فالخير عادة، ولا تفضلوا عليها الأشغال البدنية، وتؤثروا على العلية الدنية، فإن أوقاتها المعينة بالانفلات تيبس، والفلك بها من أجلكم لا يحبس، وإذا قورنت بالشواغل فلها الجاه الأصيل، والحكم الذي لا يغيره العدو ولا الأصيل، والوظائف بعد أدائها لانتفوت، وأين حق من يموت من حق الحي الذي لا يموت، وأحكموا أوضاعها إذا أقمتوها، واتبعوها النوافل ما أطلقتوها، فبالإتقان تفاضلت الأعمال، وبالمراعاة استحقت الكمال، ولا شكر مع الإهمال، ولا ربح من إضاعة رأس المال، وذلك أخرى بإقامة الفرض وأدعى إلى مساعدة البعض البعض، والطهارة التي هي في تحصيلها

(١) الدنس مطلقاً في الجسم أو الخلق، وهو أيضاً الكسل.

سبب موصل ، وشرط لمشروطه محصل فاستوفوها ، والأعضاء نظفوها ، ومياهاها بغير أوصافها الحميدة فلا تصفوها ، والحجول والغرر فأطيلوها (١) والنيات في كل ذلك فلا تهملوها ، فالبناء بأساسه ، والسيف بمراسه .

* واعلموا أن هذه الوظيفة من صلاة وطهور ، وذكر مجهور وغير مجهور ، تستغرق الأوقات ، وتنازع شتى الخواطر المفترقات ، فلا يضبطها إلا من ضبط نفسه بمقال ، واستعاض صدأه بصقال ، وإن تراخى قهقر الباع ، وسرقت الطباع ، وكان لما سواها أضيع فشمّل الضياع .

* والزكاة أختها الحبيبة ، ولدتها القريبة ، مفتاح السعادة بالعرض الزائل ، وشكران المسؤول على الضد من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من أغناه ، لمن أجهدته في المعاش وعنّاه ، من غير استحقاق ملء يده ، وإخلاء يد أخيه ، ولا علة إلا القدر الذي يخفيه ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه ، فاسمحوا بتفريقها للحاضر لإخراجها ، في اختيار عرضها ونتاجها ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بذل ، وخالفوا الشيطان كلما عدل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون ، ولا تدرن أين تسلكون ، فوهب وأقدر ، وأورد بفضله وأصدر ، ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ، فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واغتنموا رضاه ببعض نواله .

* وصيام رمضان عبادة السر المقربة إلى الله زلني ، المحووضة لمن يعلم السر وأخفى ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببر

(١) إسباغ الوضوء وتوفير الغسل لكل الأعضاء ، وخاصة الوجه والقدمين ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة » .

القيام ، والاجتهاد ، وإيثار السهاد على المهاد ، وإن وسع الاعتكاف فهو من سنته المرعية ، ولواحقه الشرعية ، فبذلك تحسن الوجوه ، وتحصل من الرقة على ماترجوه ، وتذهب قسوة الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل الباع .

• والحج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبه الحاجب ، وقد بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدره فيما فرض عن ربه وسنه ، وقال ليس له جزاء عند الله إلا الجنة ، ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكونوا ممن يسمع نفييره ويطيعه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه .

• هذه عمد الإسلام وفروضه ، ونقود مهره وعروضه ، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يناوئكم ظاهرين ، وتلقوا الله لامبدلين ولا مغيرين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

• واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلي محاسنها من بعد الانتقاب (١) ، فعليكم بالعلم النافع ، دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى اللباب ، والله عز وجل يقول : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) (٢) . والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب المنيفة ، وشرطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملاء الأعلى ، وصفه الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النحلة عادة ، والذخر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه

(٢) الزمر : ٩

(١) الانتقاب : الاختفاء :

الفاصل ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، ومن لم ينله فهو ذليل وإن كثرت آماله ، وقليل وإن جَمَّ ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتمسوه لبنيكم ، واستدركوا منه ماخرج عن أيديكم ، واحملوهم على جمعه ودرسه ، واجعلوا طباعهم ثرى لفرسه ، واستسهلوا ماينالهم من تعب من جرّاه ، وسهر يهجر له الجفن كراه ، تعقدوا لهم ولاية عز لاتعزل ، وتحلوهم مثابة رفعة لايحط فارعها ولا يستنزل ، واختاروا في العلوم التي يتعقبها الوقت ، فلا يناله في غيره المقت .

• وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نجم بمنابتها الحريرة ، من علوم لسان لاتستغرق الأعمار فصولها ، ولايضابق ثمرات المعاد حصولها ، فإنما هي آلات لغير ، وأسباب إلى خير منها وخير ، فمن كان قابلا للازدياد ، وألقى فهمه في انقياد ، فليخص تجويد القرآن بتقدمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة صحيحه من سقيمه ، ثم الشروع في أصول الفقه ، فهو العلم العظيم المنة ، المهدي كنوز الكتاب والسنة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجلّة ، والتدرب في طريق النظر وتصحيح الأدلة ، وهذه هي الغاية القصوى في الملة ، ومن قصر إدراكه عن هذا المرعى ، وتقاعد عن التي هي أسمى ، فليرو الحديث بعد تجويد الكتاب وأحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه .

• وإياكم والعلوم القديمة ، والفنون المهجورة الذميمة ، فأكثرها لايفيد إلا تشكيكاً ، ورأياً ركيكاً ، ولا يثمر في العاجلة إلا اقتحام العيون ، وتطريق الظنون ، وتطويق الاحتقار ، وسمة الصغار ، وخمول

الأقدار ، والخسف من بعد الإبدار، وجادة الشريعة أعرق في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن رشد قاضي المصر ومفتيه ، وملتزم الرشيد وموليه ، عادت عليه بالسخرطة الشنيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخطوا جامكم بجامها إلا ما كان من حساب ومساحة ، وما يعود بجدوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فمحجور وحزم مسجور ، وممقوت مهجور ، وأمروا بالمعروف أمراً رقيقاً ، وانها عن المنكر نهيأ حرياً بالاعتدال حقيقاً ، واغبطوا من كان من سنة الغفلة مفيقاً ، واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسلكوا منه طريقاً .

• وأطيعوا أمر من ولاء الله من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنة جماً ، ولا تداخلوا في الخلاف زيداً ولا عمراً .

وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أضرى عليه الآباء السنة البنين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عرف به .
• وإياكم والكذب فهو العورة التي لا تُؤارى ، والسوأة التي لا يُرتاب في عارها ولا يُتمارى ، وأقل عقوبات الكذاب بين يدي الله ما أعد له من العذاب ، أن لا يقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق نطق .

• وعليكم بالأمانة فالخيانة لؤم ، وفي وجه الديانة كدم ، ومن الشريعة التي لا يعذر بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ، ولا تجزوا من أقرضكم دين الخيانة ، ولا توجدوا للغدر قبولا ، ولا تقروا عليه طبعاً مجبولاً ، وأوقوا بالعهد إن العهد كان

مسؤولاً . ولا تستأثروا بكنز ولا خزن ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا حزن، ولا تبخسوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن، والله الله أن تعينوا في سفك الدماء ولو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقدام ، واعلموا أن الإنسان في فسحة ممتدة . وسبل الله تعالى غير منسدة . ما لم ينبذ إلى الله تعالى بأمانه . ويمسى الدم الحرام بيده أو لسانه . قال الله تعالى في كتابه الذي هدى به سنناً قويمًا . وجلّى من الجهل والضلال ليلاً بهيماً : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) (١) .

• واجتناب الزنى وما تعلق به من أخلاق من كرمت طباعه ، وامتد في سبيل السعادة باعه . لو لم تلتق نور الله الذي لم يهد شعاعه . فالحلال لم تضق عن الشهوات أنواعه ، ولا عدم إقناعه . ومن غلبت غرائز جهله ، فلينظر هل يحب أن يزنى بأهله ، والله قد أعد للزاني عذاباً وببلا ، وقال : (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) (٢) .

• والخمر أم الكبائر . ومفتاح الجرائم والجرائر . واللغو لم يجعله الله في الحياة شرطاً ، والمحرم قد أغنى عنه بالحلال الذي سوغ وأعطى . وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد . ولا لنفوسهم بالمضرة في مرضاة الأجساد . والله تعالى قد جعلها رجساً محرماً على العباد ، وقرنها بالأنصاب والأزلام في مباينة السداد .

• ولاتقربوا الربا فإنه من مناهى الدين ، والله تعالى يقول :
(وَذُرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (١) وقال : (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا
فَأَذْنُوبُ بَحْرَبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) (٢) فى الكتاب المبين .

• ولا تأكلوا مال أحد بغير حق يبيحه ، وانزعوا الطعم عن ذلك
حتى تذهب ريحه ، والتمسوا الحلال يسعى به أحدكم على قدمه ،
ولا يكل خياره إلا إلى الثقة من خدمه ، ولا تلجؤوا إلى المتشابه إلا عند
عدمه ، فميو فى السلوك إلى الله تعالى أصل مشروع ، والمحافظ عليه مغبوط ،
وإياكم والظلم ، فالظلم ممقوت بكل لسان ، مجاهر الله تعالى بصريح
العصيان ، والظلم ظلمات يوم القيامة ، كما ورد فى الصحاح الحسان ،
والنسيمة فساد وشتات ، لا يبقى عليه متات (٣) ، وفى الحديث : « لا
يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ » (٤) واطرحوا الحسد فما ساد حسود ، وإياكم
والغيبة فباب الخير معها مسدود ، والبخل فما رُبى البخيل وهو مودود ،
وإياكم وما يُعْتَدَرُ مِنْهُ فمواقع الخزى لاتستقال عثراتها ، ومظنات
الفضائح لاتؤمن غمراتها ، وتفقدوا أنفسكم مع الساعات ، وافشوا
السلام فى الطرقات والجماعات ، ورقوا على ذوى الزمانات والعهات ،
وتاجروا مع الله بالصدقة يربحكم فى البضاعات ، وعولوا عليه وحده فى
الشدائد ، واذكروا المساكين إذا نصبت الموائد ، وتقربوا إليه باليسير
من ماله ، واعلموا أن الخلق عيال الله وأحب الخلق إليه المحتاط لعياله ،
وارعوا حقوق الجار ، واذكروا ماورد فى ذلك من الآثار ، وتعاهدوا أولى
الأرحام ، والوشائج العادية الالتحام ، واحذروا شهادة الزور فإنها تقطع

(٢) البقرة : ٢٧٩

(١) البقرة : ٢٧٨

(٣) متات : نوسل وتقرب :

(٤) القنات : التام . يقال : قت الحديث أى نقله :

الظهر ، وتفسد السر والجهر ، والرُّشا فلإنها تحط الأقدار ، وتستدعى
المذلة والصغار ، ولا تسامحوا في لعبة قمر ، ولا تشاركوا أهل البطالة
في أمر ، وصونوا المواعيد من الإخلاف ، والأيمان من حنث الأوغاد
والأجلاف ، وحقوق الله تعالى من الازدراء والاعتساف ، ولا تلهجوا
بالآمال العجاف ، ولا تكلفوا بالكهانة والإرجاف ، واجعلوا العمر بين
معاش ومعاد ، وخصوصية وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه بالمرصاد ،
وأن الخلق بين زرع وحصاد ، وأقلوا بغير الحالة الباقية الهوم ،
واحدروا القواطع عن السعادة كما تُحذّر السموم ، واعلموا أن الخير أو
الشر في الدنيا محال أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذية المؤذنين ، ولا
تعارضوا مقالات الظالمين ، فالله لمن بُغِيَ عليه خير الناصرين ، ولا
تستعظموا حوادث الأيام كلما نزلت ، ولا تضجوا للأمر اض إذا أعضلت ،
فكل منقرض حقير ، وكل مُنقَضٍ وإن طال قصير ، وانتظروا الفرج ،
وانتشقوا من جناب الله تعالى الأريج ، وأوسعوا بالرجاء الجوانح ،
واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى ، فطوبى لعبد إليه جانح ، وتضرعوا
إلى الله تعالى بالدعاء ، والجتوا إليه في البأساء والضراء ، وقابلوا نعم الله
تعالى بالشكر الذي يقيد به الشارد ، ويعذب الوارد ، وأسهموا منها
للساكين وأفضلوا عليهم ، وعينوا الحظوظ منها لديهم ، فمن الآثار
الشريفة : « يا عائشة ، أحسني جوار نعم الله ، فإنها قلما زالت عن قوم
فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ » .

ولاتنظفوا في النعم فتقصروا عن شكرها ، وتلقيكم الجهالة بسكرها ،
وتنوهوا أن سعيكم جلبها ، وجدكم حلبها ، فالله خير الرازقين ،
والعاقبة للمتقين ، ولا فعل إلا لله إذا نُظِرَ بعين اليقين .

• والله الله لاتنسوا الفضل بينكم ، ولا تُذْهِبُوا بزواله زينكم ، وليلتزم كل منكم لأخيه ، ما يشتدّ به تواخيه ، بما أمكنه من إخلاص وبرّ ، ومراعاة في علانية وسرّ ، وللإنسان مزية لأتُجَهَّل ، وحق لأيهمل ، وأظهروا التعاضد والتناصر ؛ وصلوا التعاهد والتزاور ، ترغموا بذلك الأعداء ، وتستكثروا الأوداء ، ولاتتنافسوا الحظوظ السخيفة ، ولا تتهارشوا تهارش السباع على الجيفة ، واعلموا أن المعروف يكدر بالامتنان ، وطاعة النساء شر ما أفسد بين الإخوان ، فإذا أسديتم معروفاً فلا تذكروه ، وإذا برز قبيح فاستروه ، وإذا أعظم النساء أمراً فاحقروه .

• والله الله لاتنسوا مقارضة سَجَلِي ، وبرُّوا أهل مودتي من أجلّي ، ومن رزق منكم مالا بهذا الوطن القلق المهاد ،الذي لا يصلح لغير الجهاد ، فلا يستهلكه أجمع في العقار ، فيصبح عرضة للمذلة والاحتقار ، وساعياً لنفسه إن تغلب العدو على بلده في الانتضاح والافتقار ، ومعوقاً عن الانتقال ، أمام الثُوبِ الثقال ، وإذا كان رزق العبد على المولى ، فالإجمال في الطلب أولى ، وازهدوا جهدكم في مصاحبة أهل الدنيا ، فخيرها لايقوم بشرها ، ونفعها لايقوم بضرها ، وأعقاب من تقدم شاهدة ، والتواريخ لهذه الدعوى عاضدة ، ومن بُلِيَ بها منكم فليستظهر بسعة الاحتمال ، والتقلل من المال ، وليحذر معاداة الرجال ، ومزلات الإدلال ، وفساد الخيال ، ومداخلة العيال ، وإفشاء السر ، وسكر الاغترار ، فإنه دأبُ الغرِّ ، وليصُنّ الديانة ، ويوثر الصمت ، ويلازم الأمانة ، ويسر من رضا الله على أوضح الطرق ، ومهما اشبه عليه أمران ، قصد أقربهما إلى الحق ، وليتشف في التماس أسباب الجلال دون الكمال غير النقصان ، والزعازع تُسألِم اللدُنّ اللطيف من الأغصان .

• وإياكم وطلب الولايات رغبة واستجلاباً ، واستظهاراً على الخطوب وغلاباً ، فذلك ضرر بالمروءات والأقدار ، داع إلى الفضيحة والعار ، ومن امتحن بها منكم اختياراً أو جبراً عليها إكراهاً وإيثاراً ، فَلَيْتَلَقَّ وظائفها بسعة صدره ، ويبذل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة ومحنة ، وأسر وإحنة ، وهى بين إخطاء سعادة ، وإخلال بعبادة ، وتَوَقُّعُ عزل ، وإدالة بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلة قدم ، واستتباع ندم ، ومآل العمر كله موت ومعاد ، واقتراب من الله وابتعاد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أبيه .

• هذه - أسعدكم الله - وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى لربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستفشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعتم لآلئها النفيسة القيم ، استكثرت من بواعث الندم .

• ومهما ستمت إطالتها ، واستفزرت مقاتلتها ، فاعلموا أن تقوى الله فذللك الحساب ، وضابط هذا الباب ، كان الله خليفتى عليكم فى كل حال ، فالدنيا مناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء دار البقاء ، جعل الله من وراء خطته النجاة ، ونَفَقَ بَصَائِعِهَا المَرْجَاةُ ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيبكم المودع ، والله سبحانه يَلَامُهُ حيث شاء من شمل متصدع .

وصية الخطاب بن المعلى لابنه

أخبرني محمد بن المنذر بن سعيد ، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس
الحنظلي حدثني عبد الرحمن بن أبي عطية الحمصي ، عن الخطاب بن المعلى
المخزومي القرشي أنه وعظ ابنه فقال :

« يا بني ، عليك بتقوى الله وطاعته ، وتجنب محارمه باتباع
سنته ومعامله ، حتى تصح عيوبك ، وتقر عينك ، فإنها لاتخفى على الله
خافية ، وإني قد وسمت لك وسماً ، ووضعت لك رسماً ، إن أنت
حفظته ووعيته ، وعملت به ملأت أعين الملوك ، وانقاد لك به الصعلوك ،
ولم تنزل مرتجىً مشرفاً يُحتاج إليك ، ويرغب إلى ما في يديك ، فأطع
أباك . ، واقتصر على وصية أبيك ، وفرغ لذلك ذهنك ، واشغل به قلبك
ولبك ، وإيائك وهذر الكلام ، وكثرة الضحك والمزاح ، ومهازلة الإخوان ،
فإن ذلك يذهب البهاء ، ويوقع الشحنة ، وعليك بالرزانة والتوقر ، من
غير كبر بوصف منك ، ولا خيلاء تحكى عنك ، والى صديقك وعدوك
بوجه الرضى ، وكف الأذى ، من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم ، وكن في
جميع أمورك في أوسطها ، فإن خير الأمور أوسطها ، وقلل الكلام ،
وافش السلام ، وامش متمكناً قصداً ، ولا تخط برجلك ، ولا تسحب
ذيلك ، ولا تلو عُنُقك ، ولا ردائك ، ولا تنظر في عطفك ، ولا تكثر
الالتفات ، ولا تنقف على الجماعات ، ولا تتخذ السوق مجلساً ، ولا
الحوانيت متحدثاً ، ولا تكثر المراء ، ولا تنازع السفهاء ، فإن تكلمت
فاختصر ، وإن مزحت فاقتصر ، وإذا جلست فتربع ، وتحفظ من
تشبيك أصابعك وتفقيعها ، والعبث بلحيتك وخاتمك ، وذوابة سيفك ،
وتخليل أسنانك ، وإدخال يدك في أنفك ، وكثرة طرد الذباب عنك ،

وكثرة التثاؤب والتمطى ، وأشباه ذلك مما يستخفه الناس منك ،
ويغتمزون به فيك .

• وليكن مجلسك هادياً ، وحديثك مقسوماً ، وأصغ إلى الكلام
الحسن ممن حدثك ، بغير إظهار عجب منك ، ولا مسألة إعادة ، وغض
عن الفكاهات ، من المضحك والحكايات ، ولا تحدث عن إعجابك
بولدك ، ولا جاريتك ، ولا عن فرسك ، ولا عن سيفك ، وإياك
وأحاديث الرؤيا ، فإنك إن أظهرت عجباً بشيء منها طمع فيها
السفهاء ، فولدوا لك الأحلام ، واغتمزوا في عقلك ، ولا تصنع تصنع
المرأة ، ولا تبدل تبدل العبد ، ولا تهلب لحينك ولا تبطنها (١) ،
وتوق كثرة الحف وترف الشيب ، وكثرة الكحل ، والإسراف في
الدهن ، وليكن كحلك غيباً ، ولا تلح في الحاجات ، ولا تخشع في
الطلبات ، ولا تعلم أهلك وولدك - فضلاً عن غيرهم - عدد مالك ،
فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ به رضاهم ،
وأخفهم في غير غنف ، ولين لهم في غير ضعف ، ولا تهازل أمتك ، وإذا
خاصمت فتوقر ، وتحفظ من جهلك ، وتجنب عن عجلتك ، وتفكر
في حجتك ، وأر الحاكم شيئاً من حلمك ، ولا تكثر الإشارة بيدك ،
ولا تحفز على ركبتيك ، وتوق حمره الوجه ، وعرق الجبين ، وإن
سفه عليك فاحلم ، وإذا هدأ غضبك فتكلم ، وأكرم عرضك ، والتي
الفضول عنك ، وإن قربك سلطان فكن منه على حد السنان ، وإن
استرسل إليك فلا تأمن من انقلابه عليك ، وارفق به رفقك بالصبي ،
وكلمه بما يشتهي ، ولا يحملنك ما ترى من لطفه إياك ، وخاصته بك ،

(١) هلب الشعر : نف ما غلظ منه ، وتبطين اللحية : أن لا يؤخذ مما تحت الذقن

والحنك من الشعر :

أن تدخل بينه وبين أحد من ولده وأهله وحشمه ، وإن كان لذلك منك مستمعاً ، وللقول منك مطيعاً ، فإن سقطت الداخل بين الملك وأهله صرعةً لانتهاض ، وذلةً لاتئمال ، وإذا وعدتَ فحقق ، وإذا حدثت فاصدق ، ولا تجهر بمنطقك كمنازع الأصم ، ولا تخافت به كتخافت الأخرس ، ونخير محاسن القول بالحديث المقبول ، وإذا حدثت بسماع فانسبه إلى أهله ، وإياك والأحاديث العابرة المشنعة التي تنكرها القلوب ، وتقف لها الجلود (١) ، وإياك ومضعف الكلام مثل : نعم ، نعم ، ولا ، لا ، وعجل ، عجل ، وما أشبه ذلك . وإذا توضأت فأجد عرك كفيك ، وليكن وضعك الحرص (٢) من الأسنان في فيك كفعلك بالسواك ، ولا تنخع في الطست . وليكن طرحك الماء من فيك مترسلاً ، ولا تمج فتنضح على أقرب جلسائك ، ولا تعض نصف اللقمة ، ثم تعيد ما بقي منها منصبغاً ، فإن ذلك مكروه ، ولا تكثر الاستسقاء على مائدة الملك ، ولا تعبت بالمشاش (٣) . ولا تعب شيئاً مما يقرب إليك على مائدة بقلة خل أو تابل أو عسل ، فإن السحابة قد صيرت لنفسها مهابة ، ولا تمسك إمساك المشبور ، ولا تبذر تبذير السفية المغرور ، واعرف في مالك واجب الحقوق ، وحرمة الصديق ، واستغن عن الناس يحتاجوا إليك ، واعلم أن الجشع يدعو إلى الطبع ، والرغبة كما قيل تدق الرقبة ، ورب أكلة تمنع أكالات . والتعفف مال جسيم ، وخلق كريم ، ومعرفة الرجل قدره ، تشرف ذكره ، ومن تعدى القدر ، هوى في بعيد القعر ،

(١) تقف لها الجلود : تقشعر :

(٢) الحرص - بزنة قفل أو عنق - الأسنان تغسل به الأيدي إثر الطعام .

(٣) المشاش - بزنة غراب - العظم الذي لامخ فيه .

والصدق زين ، والكذب شين ، وَلَصِدْقٌ يُسْرِعُ عَطْبَ صَاحِبِهِ ، أَحْسَنُ عَاقِبَةٍ مِنْ كَذِبٍ يَسْلُمُ عَلَيْهِ قَائِلُهُ ، ومعاداة الحليم خير من مصادقة الأحمق ، ولزوم الكريم على الهوان خير من صحبة اللئيم على الإحسان ، وَلَقُرْبُ مَلِكٍ جَوَادٌ ، خَيْرٌ مِنْ مَجَاوِرَةِ بَحْرِ طَرَادٍ . وزوجة السوء الداء العُضَالُ ، ونكاح العجوز يُذْهِبُ بِمَاءِ الْوَجْهِ . وطاعة النساء تزرى بالعلاء .

* تشبه بأهل العقل تكن منهم . وتصنع للشرف تدركه .

واعلم أن كل امرئ حيث وضع نفسه . وإنما ينسب الصانع إلى صناعته ، والمرء يعرف بقربنه . وإياك وإخوان السوء فإنهم يخونون من رافقهم ، ويحزنون من صادقهم . وقربهم أعدى من الجرب . ورفضهم من استكمال الأدب واستخفاف المستجير لؤم . والعجلة شؤم . وسوء التدبير وهن .

* والإخوان اثنان : فمحافظ عليك عند البلاء ، وصديق لك في الرخاء . فاحفظ صديق البلاء ، وتجنب صديق العافية . فإنهم أعدى الأعداء .

* وَمَنْ أَسَمَعَ الْهَوَىٰ . مال به الردى . ولا يعجبك الجهل من الرجال . ولا تحنقر ضيلاً كالخلال (١) فإنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . ولا ينتفع به بأكثر من أصغريه .

(١) الخلال - بكسر الخاء . بزنة الكتاب - العود الذى تخلل به الأسنان ، يريد الرجل النحيف البالغ فى النحافة .

وتوقُّ الفساد ، وإن كنت في بلاد الأعادي ، ولانفرش عرضك لمن دونك ، ولا تجعل مالك أكرم عليك من عرضك ، ولانكثر الكلام فتثقل على الأقوام ، وامنح البشر جليساك ، والقبول بمن لاقاك .

• وإياك وكثرة التبريق والتزليق ، فإن ظاهر ذلك ينسب إلى التأنيث ، وإياك والتصنع لمغازلة النساء ، وكن متقرباً متعزِّزاً منتهزاً في فرصتك ، رفيقاً في حاجتك ، متشبهاً في حملتك ، والبس لكل دهر ثيابه ، ومع كل قوم شكلهم .

واحذر مايلزمك اللامة في آخرتك ، ولا تعجل في أمرٍ حتى تنظر في عاقبته ، ولا ترد حتى ترى وجه المصدر .

• وعليك بالنورة في كل شهر مرة ، وإياك وحلاق الإبط بالنورة ، وليكن السواك من طبيعتك ، وإذا استكتَ فعرضاً ، وعليك بالعمارة ، فإنها أنفع التجارة ، وعلاج الزرع خير من اقتناء الضرع ، ومنازعتك اللثيم تطمعه فيك ، ومن أكرم عرضه أكرمه الناس ، وذم الجاهل إياك أفضل من ثنائه عليك ، ومعرفة الحق من أخلاق الصدق ، والرفيق الصالح ابن عم ، ومن أيسرَ أكبر ، ومن افتقر احتقر ، قصر في المقالة مخافة الإجابة ، والساعي إليك غالب عليك ، وطول السفر ملالة ، وكثرة المنى ضلالة ، وليس للغائب صديق ، ولا على الميت شفيق ، وأدب الشيخ عناء ، وتأديب الغلام شقاء ، والفاحش أمير ، والوقاح (١) وزير ، والحليم مطية الأحمق ، والحمق داء لا شفاء له ، والحلم خير وزير ، والدين أزين الأمور ، والسماجة سفاهة ، والسكران شيطان ،

(١) الوقاح - يفتح الواو - الوصف من الوقاحة ، وهي الإفراط في سوء الأدب .

وكلامه هذيان ، والشعر من السحر ، والتهدد هُجر ، والشح شقاء ،
والشجاعة بقاء ، والهدية من الأخلاق السرية ، وهي تورث المحبة ، ومن
ابتدأ المعروف صار ديناً ، ومن المعروف ابتداءً من غير مسألة ، وصاحب
الرياء يرجع إلى السخاء ، ولرياءً بخير خبير من معالنة بشر ، والعرق
نزاع ، والعادة طبيعة لازمة : إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، ومن
حلَّ عقداً احتمل حقداً ، ومراجعة السلطان خرق بالإنسان . والفرار عار ،
والتقدم مخاطرة ، وأعجل منفعة إيسار في دعة . وكثرة العلل من البخل ،
وشر الرجال الكثير الاعتلال ، وحسن اللقاء يذهب بالشحناء ، ولين
الكلام من أخلاق الكرام .

* يابنى ، إن زوجة الرجل سكنه ، ولا عيش له مع خلافها ، فإذا
همت بنكاح امرأة فسل عن أهلها ، فإن العروق الطيبة تنبت الثمار
الحلوة .

* واعلم أن النساء أشد اختلافاً من أصابع الكف ، فتوقّ منهن
كل ذات بدا . مجبولة على الأذى . فمنهن المعجبة بنفسها ، المزرية
بيعها ، إن أكرمها رأته لفضلها عليه . لاتشكر على جميل . ولا ترضى
منه بقليل ، لسانها عليه سيف صقيل . قد كشفت القحة ستر الحياء
عن وجهها ، فلا تستحي من إعوارها . ولا تستحي من جارها . كلبه
حرارة ، مهارشة عقارة (١) فوجه زوجها مكلوم . وعرضه مشتوم ،
ولا ترعى عليه لدين ولا لدنيا ، ولا تحفظه لصحة . ولا لكثرة بنين ،
حجابيه مهتوك ، وستره منشور . وخيره مدفون ، يصبح كئيباً ، ويمسى

(١) هر الكلب هريراً : نبح ، وعقارة : نعر صاحبها كما يعقر الكلب .

عائياً ، شرابه مرّ ، وطعامه غيظ ، وولده ضياع ، وبيته مستهلك ،
وثوبه وسخ ، ورأسه شعث ، إن ضحك فواهن ، وإن تكلم فمتكاره ،
نهاره ليل ، وليله ويل ، تلدغه مثل الحية العقارة ، وتلسبُه مثل العقرب
الجرارة .

• ومنهن شفشليق شعشع سلفع ، ذات سم منقع (١) ، وإبراق
واختلاق ، تهب مع الرياح ، وتطير مع كل ذى جناح ، إن قال : لا ،
قالت : نعم ، وإن قال : نعم ، قالت : لا ، مولدة لمخازيه ، محتقرة لما
في يديه ، تضرب له الأمثال ، وتقصر به دون الرجال ، وتنقله من
حال إلى حال ، حتى قلا بيته ، ومَلَّ ولده ، وغثَّ عيشه ، وهانت عليه
نفسه ، وحتى أنكره إخوانه ، ورحمه جيرانه .

• ومنهن الورهاء الحمقاء (٢) : ذات الدلّ في غير موضعها ،
الماضغة للسانها ، الآخذة في غير شأنها ، قد قنعت بحبه ورضيت بكسبه ،
تأكل كالحمار الراجع ، تنتشر الشمس ولما يُسمع لها صوت ، ولم يُكنس
لها بيت ، طعامها بائث ، وإناؤها وُضِر (٣) ، وعجينها حامض ، وماؤها
فاتر ، ومتاعها مزروع ، وماعونها ممنوع ، وخادمها مضروب ، وجارها
محروب .

(١) الشفشليق : العجوز المسترخية ، والشعشع : الطويلة ، والسلفع : الصخابة
للبيضة السيئة الخلق ، والسم المنقع : المرئي :

(٢) الورهاء : الحمقاء ، وأصله قولهم «سحابة وِرهَاء» أى كثيرة المطر .

(٣) اللوضر - بفتح الواو والضاد - : بقية الدسم والدهن في الإناء ، واللوضر -

بكسر الضاد - الوصف منه :

• ومنهن العطف الودود ، المباركة الولود ، المأمونة على غيبتها ،
المحبوبة في جيرانها ، المحمودة في سرها وإعلانها ، الكريمة التبعيل ،
الكثيرة التفضل ، الخافضة صوتاً ، النظيفة بيتاً ، خادمها مسمن ،
وابنها مزين ، وخيرها دائم ، وزوجها ناعم ، مومونة مألوفة ، وبالغفاف
والخيرات موصوفة .

• جعلك الله - يابني - ممن يقتدى بالهدى ، ويأتم بالتقى ، ويجنب
السخط ، ويحب الرضى .

والله خليفتي عليك ، والمتولى لأمرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم ، وصلى الله على محمد ، نبي الهدى وعلى آله ، وسلم تسليماً
كثيراً .

نصيحة الامام تركي آل سعود الى أهل الأمصار (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن عبدالله ... إلى من يراه من المسلمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد .. فموجب الخط إبلاغكم
السلام ، والسؤال عن أحوالكم ، والنصيحة لكم ، والشفقة عليكم ،

(١) هو تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، وهو خامس حاكم من آل سعود ،
تولى الحكم من سنة ١٢٣٥ إلى ١٢٤٩ هـ حارب الحكم العثماني ، وحكم أسرة محمد على
الألباني الذي حكم مصر أيضاً ، فنشر رجاله الظلم والفساد ؛
وبعد ان استتب الأمر للامام تركي ، وبايعته البلاد ، والتف الشعب حوله ، أرسل
هذا المنشور الى أهل الأمصار ، لتلاوته في المساجد ، وللعمل بما جاء فيه ، وهو أشبه
بلمستور للحكم :

والمعذرة إلى الله تعالى ، إذ ولانى الله تعالى أمركم ، والله المسؤول المرجو أن يتولانا وإياكم فى الدنيا والآخرة ، ويجعلنا ممن إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا أذنب استغفر ، والله تعالى منعم يحب الشاكرين ، ووعدهم على ذلك بالمزيد .

قال الله تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ، وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (١) .

فالذى أوصيكم به ، تقوى الله فى السر والعلانية ، قال الله تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) (٢) .

• وجماع التقوى أداء ما افترضه الله سبحانه ، وترك ما حرم الله ، وأعظم فرائض الله تعالى بعد التوحيد الصلاة ، ولا يخفاكم ما وقع من الإخلال بها ، والاستخفاف بشأنها وهى عمود الإسلام ، الفارقة بين الكفر والإيمان ، من أقامها فقد أقام دينه ، ومن ضيعها فهو لِمَا سِوَاهَا أَضْيَع ، وهى آخر ما أوصى به النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - وهى آخر وصية كل نبي لقومه ، وهى آخر ما يذهب من الدين ، وهى أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة .

• وبعض الناس قد يسئ فى صلاته ، ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلى وحده ، أو فى نخله هو ورجاله ، والمسجد جار له . وفى الحديث : « لا صلاة ليجار المسجد إلا فى المسجد » وهم النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - أن يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار ، لولا ما فيهم من النساء والذرية ، وقال ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - : « لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق » .

• وهذه أمور ما يخفاكم وجوبها ، لكن الكبرى عدم إنكار المنكر ،
وتزيين الشيطان لبعض الناس ، أن كُلاً ذنبه على جنبه ، وفي الحديث :
« لتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلْتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلْتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ السُّفِيهِ ،
وَلْتَطْرُقَنَّ عَلَى الْحَقِّ إِطَاءً ، أَوْ لِيَعْمَنَّكُمْ اللَّهُ بِعِقَابِهِ » .

• وكذلك الزكاه . وبعض الناس يبخل ويستخف بها ، ويجعلها
من دون ماله (١) ، والعياذ بالله تعالى ، وأنتم تعلمون أنها من أركان
الإسلام . قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ
بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ، هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْنِزُونَ) (٢) .

• وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا
فِضَّةٍ ، لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ ، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفَّحَتْ لَهُ
صَفَائِحَ ، وَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَبِينُهُ وَظَهْرُهُ ،
كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّىٰ
يَقْضَىٰ بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ » .

• ثم ذكر عقوبة مانعها من الإبل والبقر والغنم ، وكل ما لا تؤدَّى
زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه ، ولو كان من زرع فقد زكى إذ حال
عليه الحول ، وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة ، أو ثمر أو أثمانها ،
كل ما أعد للتجارة تجب فيه عند الحول ، والله يبتلى الغنى بالفقر ،
وطلب منكم اليسير ، فمن أداها فمرجو الله تعالى أن يقبلها منه ، ويخلفها
عليه ، ومن مكر بها فالله خير الماكرين .

(١) دون المال : أدناه وأرخصه : (٢) للتوبة : ٣٤ ، ٣٥

* وكذلك معاملة الربا ، تفهمون أنها أكبر الكبائر ، وأن مرتكبها محارب لله ورسوله - صلى الله تعالى عليه وسلم - قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفاً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (١) وقال تعالى : (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا ، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا . فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢)

* وفي الحديث أن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - قال :

« لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤَكِّلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدِيهِ » فلفيهم سواء ، فدل هذا الحديث على أن الرضا بالمعصية معصية ، وأن من لم ينكر على العاصي كالمرائي فهو مثله . وفي حديث آخر : « الرِّبَا سَبْعُونَ ضَرْباً أَيْسَرُهَا مِثْلُ مَنْ يَنْكَحُ أُمَّهُ » . وفي الحديث أيضاً : « أَرْبَعَةٌ حَقَّ عَلَى اللَّهِ لَا يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ وَلَا يُدَيِّقُهُمْ نَعِيمَهَا : مُدْمِنُ الْخَمْرِ . وَآكِلُ الرِّبَا ، وَآكِلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَالْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ » .

* ومن أنواع الربا : الطعام بالطعام إلى أجل ، وبيع الذهب بالفضة ، والفضة بالذهب ، والتفرقة قبل القبض . وفي الحديث : « الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ . وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ . وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ يَدَأُ بِيَدٍ ، وَزَنًا بِوَزْنٍ ، كَيْلًا بِكَيْلٍ ، فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرَبَى الْآخِذُ وَالْمَعْطَى » . فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد .

• ومنه القرض الذى يجبر منفعة ، وفى الحديث : « كُلُّ قَرْضٍ جَرٌّ نَفْعاً فَهَوَّ رَبًّا » وكذلك قلب الدين بالدين على المعسر ، إذا كان فى ذمته دراهم ، فعجز عن وفائها ، فأسلمها إليه بطعام ، وهذا يشبه ربا الجاهلية .

• وكذلك بيع العينه وهو حرام . بأن كان عند رجل سلعة ، فاشتراها منه إنسان إلى أجل ، ثم اشترها منه صاحبها الذى باعها بنقد دون ثمنها .

• وأنواع الربا لا يمكن حصرها ، فيلزم المسلم الذى له معامله ، أن يفهم أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه . والجاهل يسأل العالم ، والخطر عظيم يسخط الرب ، ويمحق المال . فأنتم استعينوا بالله ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

• وكذلك المكاييل والموازين . وأنا ملزم كل أمير بأن يحضر مكاييل بلده . صغارها وكبارها . وينظر فيها عن الخلل . وتكون على مكيال واحد ؛ وكذلك تفعلون بالموازين وتفقد الناس كل شهر ، ولا يحل بخص المكيال والميزان ولو كانت المعاملة مع ذمى كما فى الحديث : « أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ . وَلَا تَخْزُ مَنْ خَانَكَ » .

• وكذلك تفقدوا الناس عن المعاشر الرديئة . والذين يجتمعون على شرب التن والشوق به .

وكل أهل بلد لابد أن يرتبوا مجالس الدرس فى الجوامع . فإن كانت خاوية فلابد أن يعمرها . والذى يعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه إلينا .

• وأنا مُطلقُ الأمرِ بالمعروفِ ، والتناهي عن المنكر ، إذا كان عن علم ينصح أولاً ، ويؤدّب ثانياً ، ومن عارض من خاص أو عام ؛ فآدبه الجلاء عن وطنه ، وهذا من ذمتي في ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر .

• وأنا أشهد الله عليكم أني بريء من ظلم من ظلمكم ، وإننا لنصرة لكل صاحب حق ، وعون لكل مظلوم . .

(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) (١) ؛ وأعزكم الله بعد الذلة ، وجمعكم بعد الفرقة ، وكشركم بعد القلة ، وآمنكم بعد الخوف ، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم ؛ والسلام .

وصية الشيخ حسن البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

يا معشر المسلمين :

علينا أن نفهم الإسلام في حدود هذه الأصول العشرين الموجزة :

١ - الإسلام نظام شامل ، يتناول مظاهر الحياة جميعاً ؛ فهو دولة ووطن ، أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة ، أو رحمة وعدالة ؛ وهو ثقافة وقانون ، أو علم وقضاء ؛ وهو مادة وثروة ، أو كسب وغنى ؛ وهو جهاد ودعوة ، أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة ، وعبادة صحيحة ، سواء بسواء .

٢ - والقرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، مرجع كل مسلم في تعرف أحكام دينه ، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات .

٣ - ولالإيمان الصادق، والعبادة الصحيحة والمجاهدة - نور وحلاوة، يقدفهما الله في قلب من شاء من عباده . ولكن الإلهام والخواطر ، والكشف والروى ، ليست من أدلة الأحكام الشرعية ، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه .

٤- والتأتم والرقى ، والودع والرمل ، والمعرفة والكهانة ، وادعاء معرفة الغيب ، وكل ما كان من هذا الباب ؛ منكر تجب محاربته ، إلا ما كان آية من قرآن ، أو رقية مأثورة .

٥- ورأى الإمام ونائبه فيما لانص فيه ، وفيما يحتمل وجوهاً عدة ، وفي المصالح المرسله معمول به مالم يصطدم بقاعدة شرعية .

٦- وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك ، إلا المعصوم - صلى الله عليه وسلم - ؛ وكل ما جاء عن السلف - رضوان الله عليهم - موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكننا لانعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم ، وقد أفضوا إلى ما قدموا .

٧- ولكل مسلم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع ، أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل ، متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمى ، إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر .

٨- والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله ، والتعاون

على الوصول إلى الحقيقة ، من غير أن يجبر ذلك إلى المراء المذموم
والتعصب .

٩ - وكل مسألة لا يبنى عليها عمل ، فالخوض فيها من التكلف
الذي نُهينا عنه شرعاً ، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم
تقع ، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليها
العلم بعد ، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب - رضوان الله عليهم -
وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته ، وجزاء نيته ،
وفي التأول منلوحة .

١٠ - معرفة الله تبارك وتعالى وتنزيهه وتوحيده أسمى عقائد الإسلام ،
وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة ، وما يلحق بذلك من التشابه ،
نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولانتعرض لما جاء
فيها من خلاف بين العلماء ، ويسعنا ما وسع رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وأصحابه (والرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ
عِنْدِ رَبِّنَا) (١) .

١١ - وكل بدعة في دين الله لا أصل لها ، استحسناها الناس سواء
بالزيادة فيه أو بالنقص منه ، ضلالة تجب محاربتها ، والقضاء عليها
بأفضل الوسائل التي لا تؤذي إلى ما هو شر منها .

(١) آل عمران : ٧

١٢- والبدعة الإضافية ، والالتزام في العبادات المطلقة خلاف
فقهى لكل فيه رأيه ، ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان .

١٣ - وصحة الصالحين واحترامهم ، والثناء عليهم بما عرف من
طيب أعمالهم - قربة إلى الله ، - تبارك وتعالى - والأولياء هم المذكورون
في قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (١) والكرامة ثابتة لهم
بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد أنهم - رضوان الله عليهم - لا يملكون
لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً في حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلاً عن أن يهبوا
شيئاً من ذلك لغيرهم .

١٤ - وزيارة القبور أياً كانت ؛ سنة مشروعة بالكيفية المأثورة ،
ولكن الاستعانة بالمقبورين أياً كانوا ، ونداؤهم لذلك ، وطلب قضاء
الحاجات منهم عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشديد القبور وسترها
وإضاعتها والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، وما يلحق بذلك من المبتدعات
- كبائر ، تجب محاربتها ولا تتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة .

١٥ - والدعاء إذا قرون بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى
في كيفية الدعاء ، وليس من مسائل العقيدة .

١٦ - والعرف الخاطيء لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب
التأكد من حدود المعاني المقصودة بها ، والوقوف عندها . كما يجب
الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين ، فالعبرة
بالمسميات لا بالأسماء .

١٧ - والعقيدة أساس العمل ، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة ،

وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً وإن اختلفت مراتب الطلب .

١٨ - والإسلام يحرر العقل ، ويحث على النظر في الكون ، ويرفع

قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شيء والحكمة ضالة المؤمن ، أُنئى وجدها فهو أحق الناس بها .

١٩ - وقد يتناول كل من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل

في دائرة الآخر ، ولكنهما لن يختلفا في القطعي ، فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي - فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار .

٢٠ - ولا تكفر مسلماً نطق بالشهادتين ، وعمل بمقتضاهما ، وأدى

الفرائض - برأيٍ أو معصية ، إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذب صريح القرآن ، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر .

فإذا علمت دينك في حدود هذه الأصول ، فقد عرفت معنى قوله

تبارك وتعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (١) .

وعرفت أن القرآن أحكم دستور ، وأن تعاليمه أحكم التعاليم
وأنفعها لتقدم البشرية ، وأصونها من الزلل ، وصدق الله العظيم حيث
قال : (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) . (١)



(١) لقد كتب - رحمه الله - هذه الوصية وهو في أحد المعتقلات بشعور المودع
للدنيا - وكان يرجو أن يجتمع المسلمون على مثل هذه المبادئ المدروسة لينتهي ما بينهم
من خلاف حول الأمور العقائدية والفقهية - والآية من سورة الملك : ١٤

متفرقات

لأبي حيان (١)

أما إنه لولا ثلاث أجيها
تَمَنَيْتَ أُنَى لا أَعَدُّ مِنَ الْأَحْيَا
فمنها رجائي أن أفوز بتوبة
نَكْفُرُ لِي ذَنْبًا وَتُنَجِّحَ لِي سَعِيَا
ومنهن صَوْنِي النَّفْسِ عَنْ كُلِّ جَاهِلٍ
لثيم فلا أمشي إلى بابهِ مَشِيَا
ومنهن أَخَذِي بِالْحَدِيثِ إِذَا الْوَرَى
نَسُوا سُنَّةَ الْمُخْتَارِ وَاتَّبَعُوا الرَّأْيَا
أَتَرَكُ نَصًّا لِلرَّسُولِ وَتَقْتَدِي
بشخصٍ ؟ لَقَدْ بَدَّلَتْ بِالرَّشْدِ الْغِيَا
وله أيضا :

يَا مُنْضِيَ الطَّرْفِ فِي مِيدَانِ لَذْتِهِ

وناضي الطرف بين الراح والرود (٢)

(١) هو محمد بن يوسف بن علي الغرناطي .

(٢) منضى : متعب ، والطرف - بكسر الطاء - : القرمس ، والطرف - بفتح

الطاء - : العين ، والرود - بضم الراء - : الفتاة الشابة .

ستشرب الروح راح الوقت كارهة

ويذهب الجسم بين الترب والسود

أنشد المنتصر بن بلال الأنصاري :

صافِ الصَّدِيقِ بِسُودِهِ وَإِذَا دَنَا شَبْرًا فَرَدَّهُ
وَاحْلَمْ إِذَا نَطَقَ السَّفِيهَ فَمَنْ يُرَدُّ جَهْلًا يَجْهَلُهُ

أنشد علي محمد البسامي :

إذا كنت بين الحلم والجهل قاعداً

وخيرت : أنى شئت ، فالحلم أفضل

ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً

ولم يرض منك الحلم ، فالجهل أفضل

من أبيات للمقنع الكندي :

ديوني في أشياء تكسبهم حمدا	يعاتبني في الدين قومي وإنما
ثغور حقوق ما أطاقوا لها سداً	أسدُّ به ماقد أخلوا وضيعوا
وبين بني عمي لمخلفٌ جدًّا	وإن الذي بيني وبين بني أبي
وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدًا	فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وليس زعيم القوم من يحمل الحقدًا	ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وإن قل ما لي لم أكلفهم رفداً	لهم جلُّ ما لي إن تتابع لي غنى
وما لي سواها شيمةٌ تشبه العبداً	وإني لعبد الضيف مادام ثاويًا

الصبر والاقدام

قرآن كريم (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ؛ واصبروا ، إن الله مع الصابرين) (١) .
آيتان جمعنا كل تدابير الحرب عند اللقاء .

وصف الحرب (٢)

الحرب رَحَى ثِقَالُهَا (٣) الصبر ، وقطبها المكر ، ومدارها الاجتهاد ، وثقافها الأناة ، وزمامها الحذر . ولكل شيء من هذه ثمرة ، فثمرة الصبر التأييد ، وثمره المكر الظفر ، وثمره الاجتهاد التوفيق ، وثمره الأناة اليُمن ، وثمره الحذر السلامة . ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ، والرأى فيها أبلغ من القتال .

قال أكرم بن صيني يصف العمل في الحرب :

أَقْلُوا الخِلافَ على أمرائكم ، فلا جماعة لمن اختلف عليه ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، فتنبَّتوا ، فإن أحزم الفريقين الركين ، ورُبَّ عَجَلَةٍ تُعَقِبَ رَيْثاً ، وأدْرِعُوا الليل ، فإنه أخفى للويل ، وتحفظوا من البيات .

(١) الأنفال : ٤٥ ، ٤٦ (٢) العقد الفريد ج ١ ص ٩٣ .

(٣) الثقال ككتاب : جلد أو نحوه يوضع تحت الرحى يقع عليه الدقيق :

الحرب خدعة

قال ابن الكلابي :

لما فتح عمرو بن العاص قيسارية ، سار حتى نزل غزة ، فبعث إليه عِلْجُها : أن ابعث إليّ رجلاً من أصحابك أكلمه . ففكر عمرو وقال : ما لهذا أحدٍ غيري . قال : فخرج عمرو حتى دخل على العِلْج ، فسمع كلاماً لم يسمع قط مثله . فقال العِلْج : حدّثني : هل في أصحابك أحدٌ مثلك ؟ قال لا تسأل عن هذا ، إني هيّن عليهم إذ بعثوا بي إليك وعرضوني لما عرضوني له ، ولا يدرون ماذا تصنع بي . قال : فأمر له بجائزة وكسوة ، وبعث إلى البواب : إذا مرّ بك فاضرب عنقه ، وخذ ما معه . فخرج من عنده فمرّ على رجل من نصارى غسان فعرفه فقال : يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج . ففطن عمرو لما أراداه ، فرجع ، فقال الملك : ما ردّك إلينا ؟ قال : نظرتُ فيما أعطيتني ، فلم أجد ذلك يسع بني عمّي ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد . فقال : صدقت ، اعجل بهم ، وبعث إلى البواب أن خلّ سبيله . فخرج عمرو وهو يلتفت ، حتى إذا أمِنَ ، قال : لا عدتُ لمثلها أبداً . فلما صالحه عمرو ودخل عليه العِلْج ، قال له : أنت هو ! قال : نعم ، على ما كان من غدرك .

(١) بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال ، وبضمها مع فتح الدال ، وأصح للروايات بفتح الخاء وسكون الدال ، أي اذا خدع المقاتل خدعة واحدة لم تكن له اقالة ، وينفصى أمر الحرب :

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
الباب الأول	
من هدى القرآن .. والنبوة	
(٥ - ٣٠)	
٧	من هدى القرآن
١٢	من هدى النبوة
٢٨	وصية الرسول إلى عمرو بن حزم
الباب الثاني	
وصايا الخلفاء الراشدين	
(٣١ - ٧٤)	
٣٣	وصية أبي بكر إلى خالد بن الوليد
٣٥	وصية أبي بكر إلى عمر بن الخطاب
٣٦	أبو بكر وجيش أسامة بن زيد
٣٩	كتاب عمر إلى أبي موسى الأشعري
٤٠	د د د في القضاء
٤١	د د د في السياسة
٤٣	د سعد بن أبي وقاص عند غزو فارس
٤٥	من وصايا الحروب

٤٥	كتاب عثمان إلى أهل الموسم
٥١	وصية على إلى عثمان بن حنيف
٥٣	للأشتر النخعي
٦٧	وصية على لابنه الحسن
٧٣	لكميل بن زياد

الباب الثالث

من وصايا حكماء الجاهلية والاسلام

(٧٥ — ٨٥)

٧٧	وصية أكم بن صيفى إلى طى
٧٨	ذى الإصبع العدوانى لابنه
٨٠	أمانة بنت الحارث لابنتها
٨٢	كتاب أكم إلى النعمان بن خميصه

الباب الرابع

متفرقات

(٨٧ — ١٨٨)

٨٩	بين معاوية وعمرو بن العاص
٨٩	خطبة سعيد بن سويد
٩٠	عهد أبى عبيدة لأهل دمشق
٩٢	كتاب أبى حازم الأعرج إلى الزهرى
٩٦	صفة الإمام العادل للحسن البصرى
٩٩	موعظة طاووس إلى عمر بن عبدالعزيز
٩٩	موعظة سالم إلى عمر بن عبدالعزيز

الموضوع	الصفحة
آخر خطبة لعمر بن عبد العزيز	١٠١
خطبة عمر بن عبدالعزيز في اختيار الصحاب	١٠٢
عهد طاهر بن الحسين	١٠٢
نصيحة سفيان بن سعيد هارون الرشيد	١١٤
رسالة الإمام مالك هارون الرشيد	١١٨
وصية لسان الدين الخطيب لأولاده	١٥٠
وصية الخطاب بن المعلى لابنه	١٦٦
نصيحة الإمام تركي آل سعود إلى أهل الأمصار	١٧٣
وصية الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا	١٧٩
متفرقات	١٨٥
محتويات الكتاب	١٨٩

رقم الايداع بدار الكتب ٨١/٣٨٦٢
التقديم الدولي x - ٣٠ - ٧٣٣٥ - ٩٧٧

دار النشر العربي للطباعة
٩٣٦١٤٥